**جامعة الدكتور يحي فارس**
**بالمدية**
**كلية العلوم الإنسانية**
**والاجتماعية**

# المعركة عند دولة المماليك البحرية

## (648 . 784هـ/ 1250 . 1381م)

**مذكرة مقدمة للحصول على شهادة الماستر في التاريخ: دراسات في تاريخ وحضارة العصر الوسيط**

**إعداد الطالبة:**
كريمة سونة

**إشراف الأستاذ:**
امحمد بخيتي

أعضاء لجنة المناقشة

| | | | |
|---|---|---|---|
| أ/ فريدة شيخي | أستاذة محاضرة | جامعة المدية | رئيسا |
| د/ نورالدين موهوبي | أستاذ محاضر | جامعة المدية | مناقشا |
| أ/ امحمد بخيتي | أستاذ محاضر | جامعة المدية | مشرفا و مقررا |

**السنة الجامعية:1438-1439هـ /2017-2018م**

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

**سورة التوبة الآية: 105.**

## الإهـــــــــداء

إلى روح والدي رحمه الله تعالى الذي مرت أيام قليلة على الذكرى الثانية لرحيله تاركاً وراءه فراغاً رهيباً، راجية من المولى عز وجل أن يرحمه ويسكنه فسيح جناته، فلطالما شجعني على خوض غمار الدراسة.

إلى والدتي حفظها الله سائلة المولى عز وجل أن يعينها على تحمل الصعاب، وأن يديم عليها الصحة و العافية .

إلى شريكي في الحياة الذي أمدني بالعون طوال أيام الدراسة، وساعدني في وضع اللمسات الأخيرة لهذا العمل، فحفظه الله وأدام عليه الصحة والعافية.

إلى حماتي وحماي حفظهما الله وأدام عليهما الصحة والعافية.

إلى ابني طه وابنتي نهى متمنية لهما التوفيق في دراستهما.

إلى كل أفراد عائلتي كل واحد باسمه إخوتي وزوجاتهن، وأخواتي وأزواجهن وأبناءهم، وإخوتي الصغار.

إلى كل أفراد عائلتي الثانية عائلة زوجي كل واحد باسمه.

إلى كل زميلاتي اللواتي تعرفت عليهن في الجامعة.

# كلمـــة الشكـــر

لا يفوتني وقد أنهيت هذا العمل المتواضع بتوفيق من الله عز وجل أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف أ/ امحمد بخيتي الذي لم يبخل علي بتوجيهاته وتصويباته خلال انجاز هذا العمل، متمنية له دوام الصحة والعافية والتوفيق والسداد في حياته العلمية والعملية، كما أتوجه بالشكر إلى كل من ساهم في إخراج هذا العمل على الصورة التي هو عليها، سواء من قريب أو من بعيد.

**مقدمة:**

تعرض العالم الإسلامي في العصر الوسيط (منذ أواخر القرن 5هـ/ 11م تقريباً) إلى العديد من التحديات والمخاطر، لعل أخطرها على الإطلاق الخطرين الصليبي والمغولي كونهما برزا في أوقات كانت الأمة الإسلامية تعاني من الضعف والانقسام، وعلى الرغم من ذلك ظهرت من حين لآخر قوى مثل الزنكيين والأيوبيين، تصدت للخطر الأول المتمثل في الصليبيين واحتلالهم لأراضي المسلمين في بلاد الشام وإنشائهم لإمارات صليبية هناك بقيت جاثمة عليها ما يقارب القرنين من الزمن (489هـ/1096م. 690هـ/1291م ).

ومع بروز الخطر الثاني المتمثل في الاجتياح المغولي للعالم الإسلامي القادم من أقصى الشرق وقضائه على مركز الخلافة الإسلامية في بغداد سنة 656هـ/ 1258م، ظهرت قوة أخرى في مصر تمثلت في دولة المماليك البحرية (648هـ/1250م . 784هـ/ 1382م) جابهت الخطرين معاً وفي وقت واحد، إذ تمكنت من إيقاف الزحف المغولي الذي كاد يعصف بالأمة الإسلامية من جهة، ومن جهة أخرى استطاعت إجلاء الصليبيين من بلاد الشام.

فتمكنت الدولة الناشئة من تحقيق انتصارات عسكرية على أعداء الأمة الإسلامية على الرغم من أنه يُطلق على العصر الذي قامت فيه تلك الدولة بعصر الانحطاط ، و أثبت تحقيق تلك الانتصارات سواء في عين جالوت أو غيرها أهمية القوة العسكرية الإسلامية في حسم الصراعات والنزاعات المزمنة (طويلة الأمد)، خاصة تلك التي تحمل طابعاً دينياً وأيديولوجياً، مثل الحروب الصليبية التي طوى صفحتها المماليك.

وهنا تكمن أهمية الدراسة و البحث في الجانب العسكري لدولة المماليك البحرية، وتحديداً الجانب الاستراتيجي والتكتيكي للخطط المعتمدة في إدارة المعارك مع أعدائها سواء من الصليبيين أو المغول، خاصة وأن المنطقة ذاتها التي درات عليها رحى تلك المعارك ما زالت

إلى يومنا هذا تعاني من هجمات شرسة، وصراعاً مزمنًا حاداً ومريراً، مع اليهود وحلفائهم من المسيحيين في الغرب الأوروبي بما فيه الولايات المتحدة الأمريكية، أمام تراجع شديد للقوة العسكرية العربية الإسلامية التي تعاني من التخلف والانقسام.

وتأتي دراسة هذا الموضوع في إطار إتمام متطلبات شهادة الماستر؛ تخصص دراسات في تاريخ وحضارة العصر الوسيط، كما أنه يندرج في إطار مشاريع البحث التي تقترحها الجامعة باعتبارها مؤسسة أكاديمية غايتها تشجيع البحث العلمي وتنمية المعارف وتنويعها، فمن دواعي اختياري لهذا الموضوع المقترح ( المعركة عند دولة المماليك البحرية) هو:

1) الرغبة الخاصة في الإطلاع على تاريخ المماليك في المشرق، لاستكمال ما بدا لي وأنه نوعٌ من القصور في دراسة تخصص المشرق الإسلامي بشكل عام، وتاريخ وحضارة العصر الوسيط بشكل خاص، هذا على المستوى الشخصي( الذاتي).
2) أما على المستوى الموضوعي فلعلنا في الوقت الراهن الذي تعرف فيه الأمة الإسلامية أقصى درجات الضعف، بحاجة إلى إعادة دراسة التاريخ العسكري الإسلامي وفق أسس موضوعية علمية سليمة خالية من الانحياز الأعمى الموجود في بعض الكتب التي درست هذا الجانب، وذلك لكي نقف بشكل صحيح على نقاط القوة ونقاط الضعف، والاستفادة من الأخطاء الجسيمة – وهي كثيرة – التي ارتكبها المسلمون، ليس على المستوى العسكري فحسب بل على جميع المستويات الأخرى.

والإشكالية التي طرحتها لدراسة موضوعنا تتمحور حول طبيعة الإستراتيجية العسكرية التي تبناها الجيش المملوكي البحري في مواجهة المغول والصليبيين. وللإجابة عليها طرحت الأسئلة الفرعية التالية:

- من هم المماليك؟ وما هي العوامل التي ساعدت على وصولهم إلى السلطة؟

- كيف تمكنوا من تدعيم سلطتهم على الرغم من انتفاء شرط الحرية فيهم الذي يتوجب توفره في الحاكم المسلم؟
- كيف نشأت مؤسسة الجيش المملوكي ، وما هي مكوناتها؟
- هل هناك فرق في إستراتيجية المماليك العسكرية في إدارة المعارك والتعامل مع المغول من جهة والصليبيين من جهة أخرى؟

ودراسة الجانب العسكري لدولة المماليك البحرية ليست جديدة بل هناك دراسات سابقة لهذا الموضوع لعل أحدثها دراسة بعنوان:

- فن الحرب في العصر المملوكي الأول بين النظرية والتطبيق (648 ـ 784هـ/ 1250 ـ 1382م)، وهي أطروحة دكتوراه أعدها الطالب الأرميني: أرتور إسرائيليان، إشراف: د/ اكتمال إسماعيل، تمت مناقشتها في جامعة دمشق كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ سنة 2007م.
- وأطروحة دكتوراه بعنوان: جهاد المماليك ضد المغول والصليبين،إعداد الطالب: عبد الله سعيد محمد الغامدي ، إشراف: د/ محمد حمدي المناوي، تمت مناقشتها في جامعة أم القرى، المدينة المنورة، سنة 1985م.
- ودراسة صدرت عن الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1983م قام بها عميد أركان حرب بالقوات المسلحة المصرية :محمود نديم أحمد فهيم بعنوان: الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري 648. 784هـ/ 1250. 1383م.
- وهناك رسالة ماجستير بعنوان: النظام العسكري لدولة المماليك (648. 923هـ/ 1250. 1517م)، إعداد الطالب: هاني فخري عطية الجزار، إشراف د/رياض مصطفى شاهين، تمت مناقشتها في كلية الآداب بالجامعة الإسلامية في غزة، سنة 2007م، والملاحظ أن هذه الدراسة تناولت النظام العسكري لدولتي المماليك الأولى والثانية.

بالنسبة للمنهج المتبع في البحث فهو التاريخي القائم على الوصف والنقد والتحليل، وكذلك اعتمدت على المنهج المقارن خاصة لمعرفة ما إذا كان هناك فرق بين إدارة المماليك البحرية للمعارك مع المغول والصليبيين، كما أن المقارنة تبدو أيضا من خلال اقتداء المماليك في سياساتهم العسكرية تجاه الصليبيين، بما قام به النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعده الخليفة عمر بن الخطاب في تعاملهما مع اليهود في المدينة المنورة.

و اعتمدتُ خطة مكونة من ثلاثة مباحث المبحث الأول منها بعنوان: قيام دولة المماليك الأولى، تناولت فيه أصل المماليك، والعوامل المساعدة على اعتلائهم عرش السلطنة في مصر والشام، كما درست فيه جهودهم في تثبيت دعائم سلطتهم.

أما المبحث الثاني فهو بعنوان: المؤسسة العسكرية المملوكية، تطرقت فيه إلى التنشئة العسكرية للمماليك بعد شرائهم وهم صغار السن، كما درست فيه فرق الجيش المملوكي، ثم دراسة الجانب الإداري للجيش المملوكي البحري.

أما بالنسبة للمبحث الثالث: فيحمل عنوان: إدارة المماليك البحرية للحروب مع المغول والصليبيين، ودرست فيه الإستراتيجية العسكرية عند دولة المماليك البحرية، ونماذج لبعض المعارك التي خاضها الجيش المملوكي البحري ضد المغول والصليبيين، ثم الأسطول البحري ودوره في حروب المماليك البحرية مع أعدائهم.

**أهم المصادر المعتمدة في البحث:**

من بين المصادر الهامة التي اعتمدتُ عليها بشكل كبير في هذا البحث المتواضع وهي مرتبة في آخر هذا البحث أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- المقريزي، تقي الدين أحمد (ت 845هـ/1442م) فقد أفادتني بعض مؤلفاته في تغطية معظم مباحث وعناصر البحث، خاصة كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار

المعروف اختصاراً بالخطط، الجزء الأول والثالث، واستفادتي منه كانت في الجانب المتعلق بجيوش دولة المماليك في تنشئتها وزيها وعاداتها، وكذلك كتاب السلوك لمعرفة الدول والملوك الجزء الأول والثالث، واستفادتي منه كانت في تغطية الجانب التاريخي المتعلق بظروف قيام دولة المماليك البحرية، وكتاب البيان والإعراب الذي تحدث فيه المؤلف عن ثورة الأعراب التي كانت في عهد السلطان المعز أيبك التركماني.

- ابن تغري بردي، أبو المحاسن (ت 874هـ/1470م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة الأجزاء: ( 3، 4، 6، 7، 8) واستفادتي منه كانت فيما يتعلق بالجانب السياسي والعسكري لسلاطين دولة المماليك البحرية، وكذلك الحال بالنسبة لكتابه المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ج4.
- القلقشندي، أحمد بن علي (ت821هـ/1418م)، صاحب الموسوعة التاريخية الأدبية الموسومة بصبح الأعشى في صناعة الإنشاء الأجزاء ( 1،3، 4، 5 ،7، 10، 11)، واستفادتي كانت كبيرة خاصة من الجزء الرابع، الذي يتحدث عن نظم الحكم في دولة المماليك وتحديدا الجيش وفرقه ورتبه ووظائفه، ونظام البريد، وكذلك البيوت المعروفة بالخانات.
- من بين المراجع التي أفادتني بشكل كبير في انجاز هذا البحث؛ الكتاب الذي سبقت الإشارة إليه في الدراسات السابقة لعميد أركان حرب بالقوات المسلحة المصرية محمود نديم أحمد فهيم، الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري 648. 784هـ/ 1250. 1383م، فهو يتحدث في صلب موضوع البحث وكان بالنسبة لي بمثابة الدليل الموجه في إعداد الخطة وجل معلومات البحث مقتبسة منه.

أما عن الصعوبات؛ بالنسبة لي الصعوبة لم تكن في عدم توفر المادة العلمية بل على العكس. وإنما الصعوبة كانت في شساعة الموضوع، مما اضطرني إلى تجاوز عدد الصفحات المشترطة في حجم المذكرة بين 60 و 80 صفحة، كما أن كتابة المذكرة بخط

Traditional Arabic حجم 18 كبير جدا، مما جعل عدد الصفحات يفوق المائة صفحة، في دراسة موضوع يصلح لأن يكون أطروحة دكتوراه، كما دفعتني هذه الشروط و ضيق الوقت إلى عدم التطرق لبعض الجوانب المهمة المرتبطة بالجيش المملوكي كالأسلحة وأنواعها ، وملابس الجند والشارات والرنوك، فضلا عن الأسرى ومعاملتهم.

**قائمة المختصرات:**

| | |
|---|---|
| ت | تاريخ الوفاة |
| د . ط | دون طبعة |
| د . ت | دون تاريخ |
| ط | طبعة |
| ص | صفحة |
| مج | مجلد |
| ج | جزء |
| ق | قسم |
| د تح | دون تحقيق |
| د . م | دون مكان النشر |
| د . ب | دون بلد النشر |
| هـ | هجري |
| م | ميلادي |

# المبحث الأول: قيام دولة المماليك الأولى

- أصل المماليك
- العوامل المساعدة على وصول المماليك إلى السلطة في مصر
- جهود المماليك في تثبيت سلطتهم

سنتعرض في هذا المبحث لدراسة أصل المماليك بتعريفهم لغة واصطلاحا، كما نتناول العوامل التي ساعدت على ارتقائهم إلى السلطة في مصر سنة 648هـ/1250م، ثم نتناول بالدراسة والتحليل المساعي التي بذلها المماليك من أجل تثبيت دعائم سلطتهم الناشئة في مصر وبلاد الشام.

## 1) أصل المماليك:

كلمة المماليك مفردها مملوك وهي اسم مفعول مصدرها الفعل الثلاثي "مَلَكَ"[1]، والمماليك في اللغة : «هم العبيد أو الرقيق، وبخاصة هم الذين سبوا ولم يسب آباؤهم ولا أمهاتهم، والمملوك... هو العبد الذي يباع ويشترى (والعبد الذي سبي أبواه يعرف بالعبد القن وليس المملوك)»[2]. وورد لفظ مملوك في القرآن الكريم في قوله تعالى :﴿ **ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لاَ يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقاً حَسَناً فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ للّه بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾[3].

وورد في المعجم العسكري المملوكي أن: «لفظ المملوك يطلق على الرقيق الأبيض المولود من أبوين حرين، وجلب إلى بلدان العالم الإسلامي بواسطة تجار المماليك من مواطنه المختلفة، وتم بيعه في أسواق الرقيق ووصل إلى أيدي الحكام والسلاطين، ثم أعتق ودخل في الجيش جندياً وفارساً وتدرج في مراتب الإمرة والقيادة حتى الوصول إلى السلطنة نفسها»[4] .

---

(1) سعيد عبد الفتاح عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، ط2، دار النهضة العربية ، القاهرة/مصر، 1976م، ص11.

(2) سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، أطلس تاريخ العصر المملوكي، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض /المملكة العربية السعودية، 2013م، ص 11.

(3) سورة النحل، الآية 75.

(4)محمد عبد الله سالم العمايرة، المعجم العسكري المملوكي، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان /الأردن، 2011، ص 311.

ومن خلال هذا التعريف يبدو أن كلمة "مماليك" أصبحت ذات معنى اصطلاحي في التاريخ الإسلامي[1]، تطلق على الرقيق الأبيض الذين استخدموا في المجتمع الإسلامي، وأشهر أنواعه الرقيق الصقالبة[2]، الذين انتشروا في الغرب الإسلامي، والأرقاء الأتراك الذين استخدموا في المشرق الإسلامي، وهم أقدم عهداً بالدولة الإسلامية، إذ عرفتهم قبل أن تعرف الرقيق الصقلبي [3]،منذ عهد الدولة الأموية( 41هـ/ 661م- 132هـ/750م).

ويذكر القلقشدي أن الأتراك أو الترك إليهم يرجع نسب السلاطين المماليك في مصر و: «هم من بني ترك، بن كومر، بن يافث، بن نوح عليه السلام، وقيل من بني طيراش بن يافث... ويدخل في جنس الترك القفجاق، وهم الخفشاج، والطغرغر، وهم التتر، ويقال لهم التتار، ومنهم الهياطلة واللان والشركس، والأزكش، والروس فكلهم من جيل الترك ونسبهم داخل في نسبهم»[4]، ولعلهم سموا تركا لأنهم تركوا خارج السد الذي بني على عهد يأجوج ومأجوج، الذين هم أبناء عمومة الترك إذ: «قيل أن الإسكندر ذو القرنين[5]، لما بنى السد

---

[1] محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ط1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة/ مصر ، 1997م، ص15.

[2] الصقالبة: مفردها صقلب مشتقة من لفظة فرنسية قديمة وهيESCLAV ، ومعناها عبد أو رقيق ، أطلقها الجغرافيون العرب في العصور الوسطى على الشعوب السلافية، اعتاد بعض الجرمان على سبي تلك الشعوب وبيعهم إلى عرب اسبانيا، فسماهم العرب صقالبة وهم سكان البلاد المختلفة من بلغاريا التي امتدت من بحر قزوين إلى البحر الادرياتيكي، وكانوا ينقلون عبر طريق رئيسي يبتدئ من شرق ألمانيا إلى ايطاليا وفرنسا ومنها إلى الأندلس وجزيرة صقلية والمغرب. أحمد مختار العبادي، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، د-ط، دار النهضة العربية، بيروت/ لبنان، 1995، ص ص9 - 22 .

[3] العبادي ، نفس المرجع ، ص10.

[4] القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج1، د-ط، دار الكتب، بيروت/ لبنان، د-ت، ص 420.

[5] الإسكندر ذو القرنين:المقصود به المذكور في القرآن الكريم في سورة الكهف، وهو غير الاسكندر ذو القرنين المقدوني فالأول هو: ذو القرنين بن فيليش بن بطريوس بن هرمس بن هردوس بن منطون بن رومي بن لطين بن يونان بن يافث بن نوح عليه السلام، أسلم على يدي إبراهيم الخليل وطاف معه بالكعبة هو وإسماعيل عليهما السلام، فكان عبداً مؤمناً صالحاً وملكاً عادلاً وزيره الخضر، وهناك من قال أنه كان نبياً، أما ذو القرنين الثاني فهو اسكندر بن فيليس بن مصريم بن شرخون بن رومة بن شرفط بن توفيل بن رومي بن الأصفر بن يقز بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام =

على يأجوج ومأجوج، كان منهم طائفة غائبة وقت بناء السد، فما علموا ببنائه، فتركوا خارجًا عنه، فسميت هذه الطائفة "تركًا" لكونهم تركوا خارجا عن السد.... والله أعلم بحقيقة ذلك» [1].

فالأتراك إذن هم الرقيق الآسيوي الذين اعتمدت عليهم الدولة الإسلامية في المشرق بصورة كبيرة، واستخدموا في أول أمرهم كغلمان، وخدم في القصور، ومعظمهم من أسرى الحروب، من أقاليم ما وراء النهر (سيحون وجيحون،) وبلاد القبجاق (القفجاق) في حوض نهر الفولغا شمال البحر الأسود والقوقاز[2]، وهم في الأصل قبائل رحل لم يتخذوا جدارًا، ولم يستوطنوا دارًا، «بل ينتقلون في أراضيهم من مصايفهم إلى مشاتيهم في ارتياد مياههم ومراعيهم» [3]، وقسوة المناخ وقلة المراعي تدل على أنهم كانوا يعانون من الفقر، ويعيشون في شظف العيش، مما اضطر بعضهم إلى بيع أبنائهم مقابل الحصول على الغذاء[4].

ويشير معظم مؤرخي التاريخ المملوكي وأهل الاختصاص إلى أن أول من استخدم العنصر التركي في الجيش هو الخليفة العباسي المعتصم (218هـ/833م)، وذلك بهدف الحد من نفوذ الفرس والعرب في الخلافة، كما أن أمه كانت تركية، وأكثر من جمع هؤلاء الأتراك حتى صار

---

=وهو المقدوني اليوناني المصري باني الإسكندرية، كان يؤرخ بأيامه الروم عاش قبل المسيح عيسى عليه السلام بنحو ثلاثمائة سنة، كان مشركاً وزيره أرسطو طالس الفيلسوف،وهو متأخر عن ذي القرنين الأول بأزيد من ألفي سنة، ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، ، تحقيق: علي شيري، ط1، ج2، دار إحياء التراث العربي، بيروت/لبنان،1988، ص ص 123 . 125.

[1] ابن إياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، ج1، ط1، دار إحياء الكتب العربية/ القاهرة، 1975، ص288 .

[2] عصام محمد شبارو، السلاطين في المشرق العربي: السلاجقة، الأيوبيون (648-447هـ 1055-1250م)، د-ط، دار النهضة العربية، بيروت/لبنان، 1994، ص ص 206-207.

[3] بيبرس المنصوري الدوادار، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، تحقيق: دونالد ريتشاردز، ط1، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت /لبنان، 1998 م، ص 4 .

[4] شبارو ، المرجع السابق ، ص 207.

له منهم أربعة آلاف، فألبسهم أنواع الديباج والحلية المذهبة، وميزهم بالزي عن سائر جنوده[1]، ولما اشتد وكثر أذاهم لعامة الناس في مدينة بغداد، عزم المعتصم على نقلهم إلى مكان آخر فاختط لأجلهم مدينة سامراء (سر من رأى) سنة 221هـ/836م[2].

وبدأ نفوذ الأتراك يتزايد بشكل تدريجي خاصة بعد أن بدأ الضعف يدب في أوصال الخلافة العباسية، وذلك منذ العصر العباسي الثاني (334-232هـ/847-946م)، الذي يطلق عليه عصر النفوذ التركي، ووصل الأمر بهم إلى التدخل في الشؤون السياسية للخلافة، إلى درجة أصبح الخليفة في أيديهم مثل الأسير إن شاؤوا أبقوه، وإن شاؤوا خلعوه، وإن شاؤوا قتلوه[3].

أما بالنسبة لمصر فتعد مثلا بارزا في ازدياد نفوذ المماليك حتى أصبحوا هم سلاطين البلاد [4]، وجدير بالإشارة أن تواجدهم بمصر كان في عهد مبكر منذ زمن الخليفة المعتصم الذي كان عامله عليها من أصل تركي يدعى "كيدر" أو "نصر بن عبد الله"[5]، وأرسل له كتابا يأمره بإسقاط العرب من ديوان الجيش المصري وقطع أعطياتهم، ومنذ ذلك الحين صار جند مصر وولاتها من الأتراك [6].

---

[1] المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، مراجعة كمال حسن مرعي، ط1، ج4،المكتبة العصرية، صيدا ،بيروت/ لبنان، 2005، ص44 .

[2] نفس المصدر، ص 45-46.

[3] ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، تحقيق عبد القادر محمد مايو، ط1، دار القلم العربي، بيروت/ لبنان، 1997م، ص240.

[4] سعيد عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، ص 12.

[5] نصر بن عبد الله: (ت 219هـ/834م) هو أبو مالك المعروف بكيدر أصله من الصغد، تولى مصر سنة 217هـ في أواخر أيام الخليفة المأمون العباسي، وأقره في الولاية بعد وفاته الخليفة المعتصم، خير الدين الزركلي، الأعلام، دون تحقيق، ط15، ج8، دار العلم للملايين، بيروت/لبنان، 2002م، ص 24.

[6] العبادي، ، مرجع سابق، ص 29.

## 2)العوامل المساعدة على وصول المماليك إلى السلطة في مصر:

اجتمعت مجموعة من العوامل ساعدت المماليك الأتراك في الاستيلاء على الحكم في مصر وبلاد الشام، وذلك منذ القرن 7هـ/13م ، وهذه العوامل تتلخص في:

1- اشتداد الصراع بين أمراء البيت الأيوبي على السلطة .

2- الاجتياح المغولي لوسط آسيا وهو المجال الجغرافي للأمم التركية.

3- الحروب الصليبية على مصر وبلاد الشام.

وسنحاول تفصيل وشرح كل عامل من هذه العوامل على حدى:

### أ- احتدام الصراع بين أمراء البيت الأيوبي على السلطة:

وتجلى هذا الصراع بين أفراد الدولة الأيوبية – التي قامت على أنقاظ الدولة الفاطمية بمصر سنة 567هـ/1171م- خاصة بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي سنة 589هـ/1193م، ونشبت الحروب بين ورثته مما اضطر ذلك كل أمير إلى إنشاء قوة خاصة لنفسه يعتمد عليها إما للحفاظ على إمارته، أو الطموح لتحقيق أطماع توسعية أخرى، ولم توجد في ذلك الوقت قوة مناسبة لهذا الغرض غير قوة المماليك، فأكثر هؤلاء الأمراء من شراء المماليك وتنشئتهم تنشئة عسكرية خاصة[1].

وبدأ نفوذ المماليك يبرز بشكل واضح خاصة بعد وفاة السلطان الملك الكامل خامس السلاطين بعد صلاح الدين في مصر، الذي استطاع بواسطة فرقته المملوكية التي عرفت بالكاملية نسبة له، توحيد مصر وسورية وبلاد الجزيرة[2]، وبوفاته انقسمت دولته بين

---

[1] طقوش، مرجع سابق، ص24.

[2] بلاد الجزيرة: وتسمى بلاد الجزيرة الفراتية، يطلق عليها أبو عبد الله المقدسي إقليم أقور، وقسمها حسب منازل بطون العرب بها، فجعلها ثلاث كور أولها من جهة العراق ديار ربيعة، ثم ديار مضر، ثم ديار بكر،التي من مدنها حصن كيفا، وسميت بالجزيرة لأنها تقطع بين نهري الفرات ودجلة، وبصورة أوضح هي الإقليم الذي يمتد حاليا عبر شمال شرق سوريا وشمال غرب العراق، وجنوب شرق تركيا .ينظر: المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، د . ت، دار=

ولديه: العادل الثاني الذي أخذ مصر وسورية، ونجم الدين أيوب الذي كان من نصيبه بلاد الجزيرة وتلقب بالملك الصالح، واستطاع هذا الأخير التخلص من أخيه العادل الثاني الذي كان يبدو عليه الضعف بالرغم من كثرة مماليك أبيه الذين استمالهم نجم الدين أيوب وبواسطتهم تمكن من الاستيلاء على سورية ومصر، ونصب نفسه سلطانا – ملكا– بعد أسر أخيه العادل في القلعة على جبل المقطم، وأرسل إليه من يقتله في السجن سنة 637 هـ/1240م.

وبعدها يبدو أن الملك السلطان نجم الدين أيوب لم يعد يثق في مماليك أخيه الذين خانوا سيدهم، فسعى إلى التخلص منهم، ومن هنا فكر في إنشاء قوة أو فرقة من المماليك خاصة به[1].

فأكثر من شراء المماليك الأتراك و يشير ابن تغري بردي بأنه هو الذي أنشأ المماليك الأتراك، وأمَّرهم بديار مصر[2]، « وكانت عدتهم نحو الألف مملوك» حسب ما أشار إلى ذلك المقريزي [3]، فكانت سياسته أشبه بسياسة الخليفة المعتصم العباسي، واشتد أذاهم بأرض مصر مثلما كان الحال مع مماليك المعتصم ببغداد، حتى قيل فيه:

الصالح المرتضى أيوب أكثر من ترك بدولته يا شر مجلوب

قد آخذ الله أيُّوبًا بفعلته فالناس كلهم في ضر أيوب [4]

---

=صادر بيروت/ لبنان، 1991م، ص136–137، سوادي عبد محمد، الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الجزيرة الفراتية خلال القرن 6هـ/12م، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد / العراق، 1989، ص33 وما بعدها.

[1]عبد المنعم ماجد، التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر، د . ط، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة/مصر، 1998، ص ص 67 . 68.

[2] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، د . ط، ج6، دار الكتب (وزارة الثقافة والإرشاد القومي)، مصر، د . ت، ص319.

[3] المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ط1،ج3، دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان، ص322.

[4] ابن تغري بردي، المصدر السابق ،ج 3، ص319، وهناك من يقول في صبر أيوب .

ولذلك بنى لهم قلعة في ساحل النيل خلف الفسطاط بجزيرة الروضة، التي عرفت بقلعة المقياس (مقياس النيل)، وبقلعة الروضة، وقلعة الجزيرة، وقلعة الصالحية واختارها مقراً لسلطنته ولذلك سُمي مماليكه الذين صاروا بطانته والمحيطين به بالمماليك البحرية «لسكناهم معه في قلعة الروضة على بحر النيل» [1].

كذلك عرفوا بالصالحية نسبة إلى لقبه بالصالح نجم الدين أيوب، ويشير بعض المؤرخين إلى أن تسميتهم بالبحرية ربما لكونهم جاءوا مع تجار المماليك عن الطريق البحر وليس عن طريق البر، إذ كان جلبهم يتم عبر البحار من القوقاز وآسيا الوسطى، حيث يعبرون البحر الأسود، وبحر القرم، ثم البحر المتوسط لينزلوا في الإسكندرية أو دمياط، كما أن لفظ "البحرية" أطلق على المسلمين والمسيحيين قبل زمن الصالح أيوب [2].

ولعل نفوذ المماليك يبدو جليا من خلال تدخلهم في الصراع بين الأمراء على السلطة، إذ وصل بهم الأمر إلى حد تنصيب أحد الأمراء بدل الآخر، فبعد وفاة الملك الكامل، عارض المماليك الكاملية تنصيب ابنه الأصغر العادل الثاني، فتحالفوا مع المماليك الأشرفية ومقدمهم عز الدين أيبك الأسمر للقبض على الملك العادل [3]، وأطاحوا به وكان ذلك سنة 637هـ/1239م[4].

---

[1] المقريزي، الخطط، ج3 ، ص ص 321، 322.

[2] عصام محمد شبارو، السلاطين في المشرق الإسلامي: معالم دورهم السياسي والحضاري، المماليك (648-923هـ/ 1250-1517م)، د-ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت/لبنان، 1994، ص8 .

[3] ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: حسنين محمد ربيع وسعيد عبد الفتاح عاشور، د- ط، ج5، دار الكتب والوثائق القومية، المطبعة الأميرية، القاهرة/مصر، 1957، ص263.

[4] سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، د-ط، دار النهضة العربية، القاهرة /مصر، 1996، ص176.

كما تمكنوا من هزيمة حلفاء العادل الثاني من الأكراد[1]، ثم ظهر صراع بين الطائفتين (الكمالية والأشرفية) إذ مالت هذه الأخيرة إلى تعيين السلطان إسماعيل، ابن السلطان العادل الأول صاحب دمشق عم الصالح أيوب، بينما انحازت الكمالية التي كانت الفرقة الأقوى إلى الصالح نجم الدين أيوب[2]، الذي تمكن بواسطتهم من حكم مصر وبلاد الشام، ثم تخلص منهم كما سبقت الإشارة إلى ذلك .

**ب- الاجتياح المغولي لوسط آسيا:**

يبدو أن العامل الذي ساعد على الإكثار من شراء المماليك في عصر الأيوبيين والمماليك، ومن ثم ازدهار تجارة الرقيق في زمنهم هو التحركات المفاجئة لمغول جنكيز خان[3]، وكان هؤلاء في تحركاتهم المدمرة يستولون على الكثير من الأسرى الذين كانوا يجمعونهم في حظائر وكأنهم أغنام أو حيوانات، فمن لا يقتل يباع كرقيق، مما أتاح الفرصة لتجار المماليك لإيجاد سوق هامة لهم في مصر زمن الأيوبيين، وذلك ما أشار إليه صاحب زبدة الفكرة أنه في سنة 626هـ/1228م قام ملك التتار "دوشى خان" ابن "جنكيز خان" بغزو بلاد القفجاق، وأوقع بهم أشد الإيقاع فقتل، وسلب وأسر وسبى، وباع منهم من نجا من القتل إلى التجار فيقول: «.... فبيعت ذراري الترك القفجاق، وجلبهم التجار إلى الآفاق، فسيق منهم إلى الديار المصرية والبلاد الشامية في آخر الدولة الأيوبية... فاشتراهم ملوك بني أيوب بأنفس الأثمان... واتخذوهم عدة في النوايب لما فيهم من الشجاعة والإقدام وثبات الأقدام ورمي السهام، ودربتهم برياضة الخيول، وصبرهم على الخطب المهول واعتبارهم بشظف الحروب،

---

(1) الأكراد: مفردها كرد بضم الكاف وسكون الراء المهملة ودال مهملة في الآخر وهم قبائل من العجم الذين كان منهم بنو أيوب ملوك مصر الأحرار بعد الفاطميين،وكان الناصر صلاح الدين الأيوبي أول من حكم مصر من الأكراد الأيوبية، وهم من بني إيران بن أشور ، بن سام بن نوح عليه السلام، القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج1،ص423، المقريزي، الخطط، ج3، ص404 .

(2) ابن واصل، المصدر السابق، ص264، طقوش، مرجع سابق،ص 25.

(3) عبد المنعم ماجد، مرجع سابق، ص66.

وممارستهم منذ طفولتهم الخطوب، وصيروا منهم الأمراء والأكابر والمقدمين على العساكر...»[1].

كما أصبحت سرَّاي عاصمة المغول بعد سيطرتهم على القبجاق وجزء من تركستان، التي بنوها في شمال غرب بحر قزوين، أصبحت مركزًا كبيرًا لتجارة الرقيق، ومنها ينقلون من البحر الأسود إلى بحر القرم عبر البسفور، ثم البحر المتوسط إلى الإسكندرية أو دمياط، أو موانئ الشام[2].

## ج– الحروب الصليبية (الحرب الصليبية السابعة):

مثلما كانت الحروب الصليبية سببًا في بروز الأيوبيين على الساحة الشامية، بزعامة القائد الشهير صلاح الدين الأيوبي، كانت أيضًا سببًا في زوال ملكهم وانتقاله إلى مماليكهم، ونعني هنا بالتحديد الحرب الصليبية السابعة التي قادها ملك فرنسا لويس التاسع، الذي يعرف عند المؤرخين المسلمين "ريدافرنس"أو"ريدافرنسيس"[3] (مشتقة من Roi de France)، وكانت حملته التي وصلت إلى دمياط سنة 647هـ/1249م، قد أتاحت للمماليك فرصة قوية للتدخل في الحكم بشكل مباشر في مصر، وأصبحوا هم سادة البلاد الفعليين بعد وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب منتصف شعبان 647هـ/ نوفمبر 1249م[4]، ومقتل ابنه المعظم تورانشاه على أيديهم في 27 محرم 648هـ/2مايو 1250م[5].

فأحداث هذه الحملة جاءت مصحوبة بتحول داخلي خطير على مستوى سدة الحكم في مصر، إذ شعر المماليك بالقوة، أمام شغور كرسي الملك بالإضافة إلى الدور الذي

---

(1) بيبرس المنصوري، مصدر سابق، ص 3 .4.

(2) عصام شبارو، السلاجقة الأيوبيون، ص207.

(3) منهم على سبيل المثال لا الحصر المقريزي والنويري، وابن واصل الذي عاصر الحملة المذكورة أثناء إقامته بمصر .

(4) عبد المنعم ماجد، مرجع سابق، ص ص69-70.

(5) العبادي، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص93.

قاموا به في تخليص مصر وبلاد الشام من حملة لويس التاسع بعد موقعتي المنصورة وفارسكور[1]، فكانوا يرددون عبارة: "نحن خلصنا مصر والشام بسيوفنا من أيدي الفرنج"[2]،يضاف إلى ذلك عدم وجود بين أمراء الأيوبيين الجالسين على العرش في بلاد الشام والجزيرة ، من يستطيع أن يملأ الفراغ السياسي الذي أحدثته وفاة الملك الصالح نجم الدين أيوب، وحينما لم يجد المماليك من يكبح جماحهم ويخضعهم لسلطته «قرروا حل مشكلة العرش الأيوبي على طريقتهم، وهكذا ظهر في الأفق السياسي... المبدأ الذي قال به العادل الأيوبي ذات مرة "الحكم لمن غلب"»[3].

ويتبين لنا من خلال تفاصيل الحملة الصليبية السابعة 647هـ/1249م التي قادها لويس التاسع من فرنسا، الدور الذي قام به المماليك البحرية، وكيف تمكنوا بواسطته اعتلاء عرش السلطنة بمصر، وكان سبب القيام بهذه الحملة على مصر هو محاولة لويس التاسع استرجاع بيت المقدس الذي استولى عليه الصالح أيوب بمساعدة حلفائه من الخوارزمية [4]، على اعتبار أن مصر هي المشكلة الأساسية التي تُفشل مشاريع الصليبيين في الشام، لذلك لابد من حرمان الجبهة الإسلامية من تلك القاعدة الحربية الهامة، التي تمثلها قوة مصر الصاعدة[5].

---

[1] سعيد عبد الفتاح عاشور، أضواء جديدة على الحروب الصلبية، د-ط، دار القلم، القاهرة /مصر، 1964م، ص42.

[2] سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، مرجع سابق، ص180.

[3] قاسم عبده قاسم، وعلي السيد علي، الأيوبيون والمماليك: التاريخ السياسي والعسكري، د-ط، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة /مصر، د-ت ص127-128.

[4] الخوارزمية: هم فلول جند جلال الدين خوارزم شاه سلطان الدولة الخوارزمية التي قضى عليها المغول، فتشرد جنودها وتحولوا إلى مرتزقة يدخلون في طاعة من يدفع لهم أكثر، وقد صاهر الصالح أيوب أحد زعماءهم يدعى بركة خان، وزوجه من أخته لأمه واستعان به ضد الصليبيين واسترجع القدس سنة 1244م/642هـ، العبادي، مرجع سابق، ص83.

[5] العبادي ،ص84، قاسم عبده قاسم، علي السيد علي، الأيوبيون والمماليك ، ص105، طقوش، مرجع سابق، ص28-29.

وبعد نزول الصليبيين بالقرب من معسكر المسلمين بدمياط في 20 صفر 647هـ/4 حزيران 1249م، نشب القتال بينهما وتمكن الفرنج من احتلالها دون مقاومة ، لاسيما بعد انسحاب قائد الجيش الأيوبي في مصر الأمير فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ ، ومن معه من عساكر المسلمين باتجاه أشموم طناح (شرق المنصورة)، ولما رآه أهل دمياط يهم بالانسحاب، خرجوا هم بدورهم من المدينة وتركوها خالية على عروشها، فدخلها الصليبيون دون مقاومة تذكر، بعد أن تأكدوا من عدم وجود مكيدة أو مناورة من جيش المسلمين «فتمهلوا حتى ظهر أن الناس قد فروا وتركوها. فدخلوا المدينة بغير كلفة...»[1].

وغضب السلطان نجم الدين أيوب لما وقع، واشتد حنقه على جنوده وأعدم ما يزيد عن خمسين أميرًا من الكنانيين[2]، لكونهم خرجوا من المدينة بغير إذن حتى تسلمها الصليبيون[3]، فاضطر السلطان إلى الارتداد بمعسكره إلى مدينة المنصورة، ونزل بالقصر السلطاني على ساحل النيل، أين توفي أثناء استعداد جيشه لمقابلة الصليبيين[4]، وهنا يبرز دور المماليك البحرية في إدارة المعركة مع الصليبيين بنجاح من جهة، وفي تسيير شؤون السلطنة وكأن السلطان على قيد الحياة من جهة أخرى .

---

[1] المقريزي، السلوك ،ج1، ص438.

[2] الكنانية أو الكنانيين: هم حامية عسكرية من عرب بني كنانة، عهد إليها السلطان بالدفاع عن دمياط بعد أن حصنها، عصام شبارو، السلاجقة، الأيوبيون، مرجع سابق، ص191.

[3] المقريزي، السلوك، ج1، ص 439. لعل انسحاب الأمير فخر الدين جاء بعد أن راسل السلطان ثلاث مرات بالحمام الزاجل يخبره بنزول الصليبيين إلى الساحل، ولكنه لم يتلق ردًا فظن أنه مات، لذلك فضل الانسحاب لأنه كان يطمع في حكم مصر، وربما كان انسحابه سبيلا لتحقيق أمانيه، اعتقادًا منه أن السلطان قد فارق الحياة العبادي، في تاريخ الأيوبيين، ص85.

[4] المقريزي، السلوك، ج1، ص441، ويشير ابن تغري بردي أنه مات في دمياط أثناء حصار الفرنج، النجوم ، ج6،ص 374.

إذ كتمت زوجته شجر الدر[1] خبر وفاته خوفا من حدوث فتنة بين صفوف المسلمين[2] ، حتى لا يصل الخبر إلى الصليبيين، واتفقت مع الأمير فخر الدين والطواشي[3] جمال الدين محسن على القيام بتدبير المملكة[4]، إلى حين قدوم الملك المعظم تورانشاه ابن السلطان الصالح نجم الدين أيوب من حصن كيفا بالعراق لتسلم الملك بعد أبيه.

أما بالنسبة للصليبيين فأقاموا وملكهم لويس التاسع بدمياط مدة ستة أشهر في انتظار قدوم الإمدادات العسكرية، وكثرت عمليات أسر الجنود الصليبيين من قبل المسلمين[5]، مما أضعف معنوياتهم خاصة بعد انتشار الوباء بينهم [6].

ورغم كل الاحتياطات التي اتخذتها شجر الدر لكتمان خبر وفاة زوجها، إلا أن الخبر وصل إلى الفرنج الذين انتهزوا الفرصة، وتركوا دمياط وزحفوا جنوبا باتجاه المنصورة عبر قناة أشموم طناح (التي تعرف اليوم باسم البحر الصغير)[7] حيث يعسكر جيش المسلمين، وتمكن

---

[1] شجر الدر: أو شجرة الدر هذه المرأة أصلها هي الأخرى من الرقيق، اشترها الصالح أيوب قبل أن يتولى السلطة على مصر، وأنجبت منه ولدا اسمه خليل مات صغيرا، لذلك عرفت به: أم خليل، وبسبب كثرة مجوهراتها اشتهرت بشجرة الدر الصالحية، نسبة لزوجها، وربما سميت بهذا الاسم لكونها امرأة ثقة كالشجرة التي تظلل عرشه، فقد سيطرت في حياة زوجها على شؤون الدولة كما أشار إلى ذلك ابن دقماق، وكان يتركها نائبة عنه في مصر لما يذهب في حملاته إلى الشام، وتولت الحكم بعد وفاته، وبعد مقتل ابنه المعظم ثورانشاه لمدة ثمانين يوما، للاستزادة راجع ابن دقماق، الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، مراجعة أحمد السيد دراج، د–ط، جامعة أم القرى/ المملكة العربية السعودية، 1982، ص251، ماجد، مرجع سابق، ص69.

[2] العبادي، مرجع سابق، ص86.

[3] الطواشي: لفظ تركي أصله طابوشي، ثم حرف إلى طواشي أطلق هذا اللفظ عموما على طبقة الخصيان من العبيد الذين عملوا خدام في قلعة الجبل بالقاهرة، واختص عدد منهم بتربية المماليك (السلطانية)، حمد عبد الله سالم العمايرة، المعجم العسكري المملوكي، مرجع سابق، ص 203.

[4] المقريزي، السلوك، ج1، ص 444.

[5] نفس المصدر، ص 447.

[6] شبارو، السلاجقة، الأيوبيون، ، ص 192.

[7] شبارو، المرجع السابق، ص 193، وهذا البحر هو أحد فروع الري الشهيرة بمحافظة الدقهلية، وكان يسمى بحر أشموم نسبة إلى مدينة أشموم طناح الواقعة عليه. العبادي، هامش رقم 1، ص87.

لويس التاسع من عبور القناة بعد أن استعان ببعض العملاء الذين دلوه على مسالك القناة مقابل مبلغ من المال[1]، وفي يوم الثلاثاء رابع ذي القعدة أو خامسه هجم الصليبيون على معسكر المسلمين بغتة، وقتلوا قائدهم الأمير فخر الدين بن يوسف [2]، وكانت وقعة عظيمة إذ اقتحم "روبرت دو أنجوا" أحد أبواب مدينة المنصورة، وأعملوا القتل في سكانها،

وهنا برز دور فرقة المماليك البحرية التي تولى قيادتها الأمير بيبرس البندقداري[3]، الذي تحصن مع جنده في مواقع منيعة داخل المدينة وترك الصليبيين يدخلونها، ثم أحكم الحصار عليهم وقتل حوالي ألف وخمسمائة فارس بما فيهم قائدهم "روبرت دو أنجوا"، وكان ذلك في 8 فبراير 1250م/ذي القعدة 648هـ[4].

وبعد ذلك بثلاثة أيام تحرك الجيش السلطاني وهاجم المعسكر الصليبي الذي كان فيه لويس التاسع، وعبر إلى المعسكر عن طريق إقامة جسر على بحر أشموم لعبور الرجالة من الجند، واستخدم المماليك النار الإغريقية[5]في هجومهم، إلا أن لويس التاسع تمكن من الثبات وإعادة خط القتال إلى ما كان عليه بعد تكبده لخسائر فادحة، وبذلك انتهت موقعة المنصورة

---

[1] العبادي، المرجع السابق، ص 87.

[2] النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج29، تحقيق: نجيب مصطفى فواز، وحكمة كشلي فواز، د–ط، دار الكتب العلمية، بيروت /لبنان، د–ت، ص219.

[3] بيبرس البندقداري:هو ركن الدين بيبرس البندقداري وتلقب بالظاهري، وتعني كلمة بيبرس الفهد، ولد في عام 620هـ/1233م، بيع للملك الصالح، بما قيمته عشرين جنيها، لقب بالبندقداري نسبة إلى سيده أيدكين بندقدار الذي عمل في خدمة الملك الصالح، وهو في الشام، فنسب إلى الاثنين، إذ عرف بالصالحي أو البندقداري، امتاز بالذكاء والفروسية، تدرب على قتال أعداء المسلمين، وعين في قيادة الجيش، وخاض عدة حروب ضد الصليبيين والتتار، دبر مؤامرة اغتيال سيف الدين قطز بعد معركة عين جالوت، وتولى من بعده سلطنة المماليك البحرية، محمود شلبي، حياة الملك الظاهر بيبرس، ط1، دار الجيل، بيروت/لبنان ، 1992، ص 32–34، عبد المنعم ماجد، مرجع سابق ص80.

[4] شبارو، السلاجقة –الأيوبيون، ص 193.

[5] النار الإغريقية: هي عبارة عن قذائف ملتهبة في شكل قنابل حارقة بدائية، وكان لها أثر من حيث تدمير الكثير من معدات الصليبيين، قاسم عبده، وعلي السيد، الأيوبيون والمماليك: التاريخ السياسي، ص108.

الثانية، التي تأكد من خلالها الصليبيون بضرورة الانسحاب إلى دمياط قبل فوات الأوان [1]، وكان قائد الجيش السلطاني في هذه الموقعة الأمير فارس الدين أقطاي[2].

بعد موقعة المنصورة بأيام وصل غياث الدين تورانشاه ابن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب إلى مصر، لتولي السلطنة وأعلنت رسميا وفاة الصالح أيوب[3]، كما تولى تورانشاه بنفسه قيادة جيش المسلمين وأعد خطة عسكرية للتغلب على الصليبيين، شرح تفاصيلها بإسهاب المقريزي في كتابه السلوك لمعرفة دول الملوك[4]، ملخصها قطع المؤونة وخط العودة إلى دمياط عن معسكر الصليبيين، من خلال نهر النيل[5]، فصنع المسلمون مراكب وحملوها مفككة على ظهور الجمال، ثم أنزلوها وراء خطوط الصليبيين في نهر النيل من جهة المنصورة، فتمكنوا بذلك من قطع الميرة عنهم، فاشتد الغلاء بين الصليبيين وضعف حالهم، وحاول لويس التاسع الانسحاب إلى دمياط عبر جسر وضعوه في قناة أشموم، وسهوا عن قطعه بعد عبورهم، مما أتاح للمسلمين فرصة اجتياز الجسر في الليل[6]، ومطاردة الجيش الصليبي حتى فارسكور[7]، وأبلى المماليك البحرية في هذه الموقعة – موقعة فارسكور– التي كانت في 27

---

[1] العبادي، في تاريخ الأيوبيين، ص89.

[2] فارس الدين أقطاي الجمدار: كبير الأمراء، اشتراه تاجر بدمشق ورباه وباعه بألف دينار، وألحق بخدمة الصالح نجم الدين أيوب فجعله جمداراً (أي موكلا بلباسه)، فاشتهر بهذا اللقب، عظم شأنه وقويت شوكته في عهد سلطنة المعز أيبك التركماني المملوكي، وكان أصحابه يسمونه الملك الجواد، فاغتاظ منه المعز وتوجس منه خيفة، لذلك سعى إلى التخلص منه بعد أن استدرجه إلى قلعة الجبل صباح يوم الاثنين 11 شعبان 652هـ/27 سبتمبر 1254م ، أغلق عليه باب القلعة وقتل من طرف جماعة المماليك المعزية، وألقي برأسه إلى مماليكه . ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج7، ص ص 11 .12، محمد سهيل طقوش، مرجع سابق، ص ص48. 49.

[3] المقريزي، السلوك، ج1، ص 449.

[4] المقريزي، المصدر السابق،ج1، ص450، وهذه الخطة اتبعها من قبل جده السلطان الكامل ضد حملة جان دي برين على مصر سنة 1217م، كما أوصاه بها الصالح أيوب في وصيته التي تركها له قبيل وفاته،، والتي أوردها النويري في كتابه نهاية الأدب في فنون الأدب، سنتحدث عنها لاحقا، العبادي، هامش رقم 3، ص 89.

[5] عصام محمد شبارو، السلاجقة– الأيوبيون، ص 193.

[6] ابن تغري بردي، ج6، ص 364.

[7] شبارو، السلاجقة . الأيوبيون، ص 194.

فبراير 1250م/648هـ، بلاءً حسناً إذ بلغ عدد القتلى من الجيش الصليبي الذي كان يعاني الجوع والمرض (الحمى)، «عشرة آلاف في قول المقل وثلاثين ألفا في قول المكثر»[1].

وأسر منهم ما يقارب مائة ألف من بينهم الملك لويس التاسع الذي اعتقل في دار القاضي فخر الدين إبراهيم بن لقمان كاتب الإنشاء بالمنصورة [2]، وبذلك انتهت الحملة الصليبية السابعة بالفشل، ليفتح المجال أمام باب التفاوض، الذي انتهى بعقد اتفاق بين تورانشاه ولويس التاسع، بإطلاق سراح الأسرى المسيحيين في مصر وبلاد الشام، مع لويس التاسع مقابل دفع فدية قدرها ثمانمائة ألف دينار بالعملة البيزية [3].

ومن المصادفات أن يتزامن انتهاء الحملة الصليبية السابعة على مصر، التي تعد آخر الحملات المنظمة على المشرق الإسلامي، مع زوال دولة بني أيوب التي انقرضت بمقتل المعظم تورانشاه، وكان سبب مقتله على أيدي المماليك نتيجة لسوء تدبيره، وهناك من يشير إلى أن الصالح أيوب لم يكن يرغب في العهد لابنه تورانشاه بحكم مصر، لمعرفته بعدم كفاءة ابنه لتولي هذا المنصب، فعلى سبيل المثال يشير المقريزي إلى أن الصالح أيوب لم يعهد إلى أحد بالملك، بل قيل إنه أشار إلى تسليم مصر إلى الخليفة العباسي المستعصم بالله لأنه: «كان يعرف ما في ولده المعظم ثورانشاه من هوج»[4].

إلا أن النويري يشير بأن الصالح أيوب أوصى بالحكم إلى ولده الوحيد تورانشاه، وأنه كتب في مرض موته كتابا بخط يده[5]، مما يدحض الرأي السابق، وتضمن هذا الكتاب (الوصية) العديد من الوصايا التي يتعين على الملوك التمسك بها والرجوع إليها والاعتماد

---

[1] المقريزي، السلوك، ج1، ص 455.

[2] نفس المصدر ،ص 455.

[3] عبد المنعم ماجد، المرجع السابق،ص73.

[4] المقريزي، السلوك، ج1، ص ص 443 – 444 .

[5] للإطلاع على نص الكتاب (الوصية) ينظر النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: نجيب مصطفى فواز وحكمت كشلي فواز، ج29، د–ط دار الكتب العلمية، بيروت /لبنان، د–ت، ص–ص 220–228.

عليها ، إلا أن الملك المعظم لم يعتمد ما أوصاه به والده «ولا رجع إليه ولا عرج عليه، بل خالفه في جميع ما تضمنته وصيته ... »[1].

فبعد نجاحه في صد عدوان الصليبيين وإفشاله لحملة لويس التاسع، جاء تورانشاه بإخفاق أيوبي جديد، ولم ينجح في الاستجابة للتحديات التي فرضتها الظروف آنذاك [2]، وبدلاً من أن يتوجه لتوحيد صفوف المسلمين للقضاء على خطر الصليبيين بشكل نهائي، فإنه أساء السيرة في مماليك أبيه، وبدأ يحيك المؤامرات والدسائس ضدهم، وبدلاً أن يثمن دور المماليك « حسدهم على ما حققوه لأنفسهم من مكانة، وسيطر عليه شعور بأنهم يزاحمونه في حكم البلاد»[3]،وتوجس خيفة من نفوذهم الذي زاد بسبب دورهم في القتال ضد الصليبيين، وتشير المصادر أنه كان فتًى عنيف الأهواء ورث الكآبة والكبرياء عن أبيه[4].

وبدأ يبعد المماليك البحرية من حاشيته وقرب إليه من هم دونهم من المماليك الذين أتوا معه من العراق، فكان قد وعد فارس الدين أقطاي بالإمرة فلم يف له[5] ، كما أرسل إلى زوجة أبيه التي حفظت له ملك والده يتهددها، ويطالبها بمال أبيه وما تملكه من مجوهرات، فخشيت منه وكاتبت المماليك بما فعلته في حقه، وما جازاها به من التهديد والوعيد[6]، وتذكر أغلب المصادر أنه كان إذا سكر جمع الشموع وصفَّها وقطع رؤوسها ويقول: «هكذا أفعل بالمماليك البحرية إذا دخلت القاهرة»[7]، وكان يسمي كل واحد باسمه، وبذلك أضمر له المماليك السوء، وأجمعوا أمرهم على التخلص منه قبل أن يفتك بهم، فكان ذلك في يوم

---

(1) النويري ، نهاية الأرب، ج29، ص228 .

(2) قاسم عبده وعلي السيد، مرجع سابق،ص 110.

(3)قاسم عبده وعلي السيد ، المرجع السابق، ص 110.

(4)نفسه، ص110.

(5) النويري، المصدر السابق،ج29، ص 223.

(6) المقريزي السلوك،ج1، ص457.

(7) ابن إياس ،بدائع الزهور،ج1، 284.

الاثنين 9 محرم 648هـ/ 1250م ،بينما يشير المقريزي أنه كان يوم الاثنين 27محرم، عندما جلس المعظم على السماط[1]، فضربه مماليك أبيه، وقتلوه شر قتلة[2].

وأجمع المماليك بعدها على تولية زوجة أستاذهم وسيدهم الصالح أيوب شجرة الدر، وذلك في العاشر من صفر، وتلقبت بعدة ألقاب منها:

الملكة عصمة الدين أم خليل شجرة الدر الصالحية، ونقشت اسمها على السكة:المستعصية الصالحية ملكة المسلمين، والدة المنصور خليل خليفة أمير المؤمنين[3]، وكانت هي ثاني ملكة في الإسلام حكمت دولة المماليك البحرية، التي دامت مدتها 136 سنة وسبعة أشهر وتسعة أيام، أولها يوم الخميس 10 صفر 648هـ، وآخرها يوم الثلاثاء 18 رمضان 784هـ، وكان عدد سلاطين هذه الدولة أربعة وعشرون ذكرا، ما بين رجل وصبي، وامرأة واحدة التي هي شجرة الدر وآخرهم صبي[4]، ثم قامت من بعدها دولة المماليك الجراكسة[5].

وهنا يمكن القول أن المماليك وصلوا إلى سدة الحكم، بسبب تراجع الأيوبيين وتخليهم عن دورهم المتمثل في التصدي للصليبيين، خاصة بعد أن ركنوا إلى المهادنة للتفرغ إلى

---

(1) السماط: جمعها أسمطة وهي ما يبسط على الأرض لوضع الأطعمة وجلوس الآكلين ، وهو يشير إلى الموائد السلطانية التي كان يقيمها السلاطين ويشاركهم بها كبار الأمراء وقادة الجيش وكبار موظفي الدولة المدنيين والعسكريين.العمايرة، المعجم العسكري المملوكي ، ص 165.

(2) المقريزي، السلوك، ج1، ص 372.

(3) المقريزي، الخطط، ج3، ص 411 .

(4) المصدر السابق، ص 420. وتعتبر رضية الدين سلطانة دلهي في الهند أول امرأة تولت الحكم في الإسلام، استمر حكمها أربع سنوات( 634-638هـ/1236-1240)، وعاصرت شجر الدر، وهي ابنة السلطان التتمش المؤسس الحقيقي لدولة سلاطين المماليك في الهند، وتولت ابنته السلطنة بعد وفاته، وتتشابه ظروف توليها الحكم مع شجر الدر، وكان مصيرهما واحد وهو القتل، عصام محمد شبارو، السلاطين في المشرق العربي: المماليك، مرجع سابق،ص 9 هامش رقم (5).

(5) يمكن الإطلاع على ملحق خاص بسلاطين المماليك في دولتي المماليك الأولى(البحرية) والثانية (البرجية أو الجراكسة)، ملحق رقم 1، ص 122.

صراعاتهم الداخلية، ومعروف أن دولتهم جاءت أو قامت على أساس الاستجابة الناجحة للتحدي الذي فرضه الصليبيون على بلاد الشام، لأن مؤسسها صلاح الدين الأيوبي التزم بسياسة الجهاد والهجوم على الصليبيين، ومنذ أخذ خلفاء صلاح الدين من الملوك الأيوبيين يعزفون عن الهجوم ضد الصليبيين، لا بل الأدهى والأمر التحالف معهم ضد بعضهم البعض، نجد أن هذه الدولة فقدت مبررات وجودها، وفي خضم الأحداث التي عرجنا على ذكرها، برزت بدلهم قوة جديدة أثبتت قدرتها على التصدي للصليبيين وكذلك المغول، متمثلة في قوة المماليك، والواقع أن قيام دولتهم جاء امتداد لدولة بني أيوب، إلا أنهم نجحوا فيما فشل فيه الأيوبيون وهو توحيد منطقة بلاد الشام ومصر، وبذلك تزعموا المنطقة العربية والإسلامية في المشرق[1].

### 3) جهود المماليك في تثبيت دعائم سلطتهم:

بعد مقتل تورانشاه وتولي شجر الدر السلطنة مكانه، بدأت تلوح في الأفق ملامح المعارضة الشديدة لاعتلاء المماليك عرش السلطنة في مصر، سواء على الصعيد الداخلي أو الخارجي، وواجهت الدولة الناشئة مجموعة من التحديات، استطاعت الاستجابة لها بنجاح، على الرغم من الاضطراب وعدم الاستقرار السياسي الذي ميز نظام الحكم في هذه الدولة[2]، التي قامت على أسس عسكرية بحتة[3].

---

[1] قاسم عبده، علي السيد، ص 104.

[2] أرتور إسرايليان، فن الحرب في العصر المملوكي الأول بين النظرية والتطبيق (784-648هـ/1250-1382م)، أطروحة دكتوراه في تاريخ العرب والإسلام، إشراف: إكتمال اسماعيل، جامعة دمشق: كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، 2007، ص 34.

[3] محمود نديم أحمد فهيم، الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1983، ص 12.

والملاحظ أن طبيعة العلاقات بين الأمراء المماليك الذين أصبحوا في تنافس حاد فيما بينهم لتولي منصب السلطنة، كانت تحكمها مفاهيم سياسية معينة، من بينها أن هؤلاء السلاطين المماليك لم يكونوا يوما من سلالة حاكمة، كما أن أحدا لم ينتخبهم أو فوض إليهم أمور الحكم، فضلا عن ذلك فقد "مسهم الرق"، وبذلك ينتفي عنهم شرط الحرية الواجب توفره في الحاكم المسلم، وعليه يبدو أنه ساد اعتقاد بين أمراء المماليك أن تولي منصب السلطة من حقهم جميعا بلا تفرقة «يفوز به أقواهم وأقدرهم على الإيقاع بالآخرين...إذ كان الطريق إلى العرش مفروشاً بدماء الخاسرين في الصراع...كما تأكد منذ البداية "مبدأ الحكم لمن غلب"» [1].

إذ تجلى هذا المبدأ بوضوح مع السلاطين الثلاثة الأوائل الذين حكموا البلاد: شجر الدر، وعز الدين أبيك التركماني[2]، وسيف الدين قطز[3]، وعلى الرغم من ذلك التنافس الحاد بين الأمراء المماليك، والذي أدى إلى انقسامهم على أنفسهم إلى: مماليك معزية التي

---

[1] قاسم عبدة قاسم، السلطان المظفر سيف الدين قطز بطل المعركة عين جالوت، ط1، دار القلم، دمشق/سوريا، 1998، ص 45.

[2] عز الدين أبيك التركماني: الصالحي لقبه الجاشنكير (وهو الذي يتذوق الطعام قبل أن يأكل منه السلطان خشية تسميمه)، يعتبر عند بعض المؤرخين أول ملوك الدولة التركية(المماليك البحرية)، تولى أتابكية العسكر عندما تسلطنت شجر الدر، ثم تولى السلطنة بعد أن خلعت نفسها وتزوجها، تلقب بالمعز عُرف عنه السداد وملازمة الصلاة وعدم شرب الخمر، قُتل نتيجة مؤامرة دبرتها شجر الدر وكان ذلك يوم الثلاثاء 24ربيع الأول 655هـ/ أفريل 1257م، ثم قتلت بعده شجر الدر بثلاثة أيام على أيدي جواري امرأة المعز الأولى التي كانت ناقمة عليها، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة،ج7،ص ص 3 . 4، النويري، نهاية الأرب، ج29، ص292،بيبرس المنصوري، مختار الأخبار، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان،ط1،الدار المصرية اللبنانية،القاهرة /مصر،1993م، ص9.

[3] سيف الدين قطز: اسمه محمود بن ممدود يُقال إن أمه أخت السلطان جلال الدين خوارزم شاه، وقطز هو مملوك المعز أيبك سُبي عندما استولى التتار على الدولة الخوارزمية، وبيع بدمشق وانتقل إلى القاهرة، تولى السلطنة في ذي القعدة سنة 657هـ/ نوفمبر 1259م في ظروف صعبة عندما امتد الزحف المغولي إلى بلاد الشام، وأزاح الملك الصبي ابن سيده المعز المنصور نور الدين علي عندما تبين له بأنه لا يمكن للدولة أن تواجه جحافل المغول في ظل حكم صبي قاصر كثير اللعب، وهو بطل معركة عين جالوت التي انهزم فيها التتار وقتل هو الآخر نتيجة مؤامرة من المماليك بُعيد النصر الذي حققه، أثناء عودته من دمشق إلى مصر بالصالحية يوم 15 ذي القعدة 658هـ/ 22أكتوبر 1260م، النويري، ج29،ص ص333 . 305، بيبرس المنصوري، مختار الأخبار، ص ص 10. 11، شبارو، المماليك، ص15.

كانت في خدمة المعز أبيك، والبحرية الذين كان زعيمهم فارس الدين أقطاي، إلا أن المماليك تمكنوا من تثبيت دعائم سلطتهم على مستويين:

أ. **على المستوى الداخلي**: بسعيهم إلى إضفاء طابع الشرعية على حكمهم ومواجهة الثورات الداخلية، والتخلص من المطالبين بالعرش من الأمراء الأيوبيين في بلاد الشام.

ب. **على المستوى الخارجي**: وذلك من خلال مواجهة المغول وخطرهم والحد من توغلهم في قلب المنطقة العربية، وإعادة إحياء الخلافة العباسية في مصر، وسنحاول شرح كل نقطة على حدى.

1. **بالنسبة للمستوى الداخلي:**

أ. **سعي المماليك إلى إضفاء طابع الشرعية على نظام حكمهم:**

وتجلى ذلك من خلال ما قام به الحكام الأوائل من إجراءات، التي من شأنها توحي بمحاولتهم الحصول على نوع من الدعم "السياسي" والتأييد المعنوي لسلطنتهم الناشئة، فعندما اعتلت شجر الدر السلطنة تسمت بالمستعصمة الصالحية، ملكة المسلمين والدة المنصور خليل خليفة أمير المؤمنين[1]، ولعل تلقبها بالمستعصمة هو محاولة منها للتقرب من الخليفة العباسي المستعصم بالله (640- 656 هـ/1242-1258م)، ليعترف لها بشرعية حكمها[2]، كما أنها كانت تعلم بأن المجتمع الإسلامي بشكل عام سوف لن يتقبل فكرة اعتلاء امرأة سدة الحكم بسهولة، لذلك عملت على التقرب من العامة والخاصة، وترضيتهم بشتى الوسائل، إذ قلدت الأمراء والعساكر المناصب العالية في الدولة، ومنحتهم الهبات

---

[1] المقريزي، الخطط، ج3، ص 413.

[2] العبادي، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص 109.

والأموال فضلا عن الإقطاعات الواسعة، ولجأت إلى تخفيف الضرائب عن الرعية لاستمالة قلوبهم[1]، إلا أن هذه الإجراءات وغيرها لم تنجح في إسكات صوت المعارضين لها.

إذ أرسل الخليفة العباسي المستعصم للمماليك كتابًا يذمهم على إقامة امرأة في الحكم[2]، وقال عبارته الشهيرة: «إن كانت الرجال قد عدمت عندكم فأعلمونا حتى نسير إليكم رجلا»[3]، ولذلك اجتمع الأمراء البحرية واتفقوا على إقامة الأمير عز الدين أبيك مقدم العسكر في السلطنة وتنازلت له شجر الدر عن الحكم وتزوجته، وبذلك ظلت تحكم وتدير شؤون السلطنة من وراء حجاب،وفي ذلك يقول النويري: «ولما ملك السلطان الملك المعز وتزوجها، مازالت تخاطب بالسلطة، وتخرج تواقيعها بالإطلاقات وإبطال الحوادث وكف المظالم، فتنفذ كنفوذ التواقيع السلطانية[4]».

ومع تولي المعز أبيك سعى هو الآخر للحصول على تأييد الخليفة العباسي، وكان ذلك عند مواجهة الأمراء الأيوبيين الورثة الشرعيين لحكم مصر، إذ أعلن وضع البلاد تحت سلطة الخلافة العباسية، وأنه تحكم مصر بصفته نائبا عن الخليفة المستعصم بها[5].

**ب.مواجهة الثورات الداخلية:**

الواقع أن هذه الثورات استمرت طوال عهد حكم المماليك بمصر، سواء البحرية أو الجراكسة، مما جعل أغلب المؤرخين والكتاب لعهد هاتين الدولتين يتفقون على وصف فترة حكمهم بكثرة الفوضى، والاضطرابات وانعدام الاستقرار، والذي يعنينا هنا؛ تلك الثورات

---

[1] طقوش، تاريخ المماليك،ص39.

[2]المقريزي، الخطط، ج3، ص 413.

[3] المقريزي، السلوك،ج1، ص 464.

[4] النويري، نهايه الأرب، ج29، ص 293.

[5] المقريزي، السلوك، ج3، ص 464، طقوش، المرجع السابق، ص 53، وسنتحدث عند تفاصيل ذلك في العنصر الخاص بجهود المماليك في التخلص من العناصر الأيوبية المناوئة لحكمهم.

التي جاءت معارضة لصعود المماليك إلى السلطة في السنوات الأولى من عمر هذه الدولة، منذ تولي شجر الدر إلى غاية وصول الظاهر بيبرس البندقداري إلى السلطنة (أي من 648هـ إلى 659هـ/1250م- 1261م).

فمنذ أن اعتلى المماليك سدة الحكم بمصر، ظهرت معارضة شديدة لحكمهم منذ البداية من طرف الرعية، وقامت ثورات متعددة عرفت في المصادر المعاصرة لدولة المماليك بثورات الأعراب، أو "فساد العربان"[1]، ويقصد بهم العرب القائمين بمصر.

ولعل أولى هذه الثورات وأخطرها على الإطلاق، تلك الثورة التي قام بها "العربان" في عهد السلطان أبيك التركماني سنة 651هـ/1253م، الذين التفوا حول زعيم لهم يدعى الشريف حصن الدين ثعلب[2]، الذي ذكر بين أصحابه أنه أحق بالملك من المماليك، لأنه من أصحاب البلاد الذين يكفيهم أنهم خدموا بني أيوب، وعَدَّهم "خوارج" خرجوا على البلاد، والمماليك هم عبيد للخوارج، وكتب إلى الملك الناصر صاحب دمشق يطالبه بالقدوم إلى مصر[3].

وعظم شأن هؤلاء العرب واشتد أذاهم على الناس إذ «كثر شرهم، وزاد طغيانهم وبغيهم، وحصل لأهل البلاد منهم من أنواع الأذى ونهب الأموال والتعرض إلى الحريم، وأمثال

---

(1) العبادي، المرجع السابق، ص 117.

(2) اسمه بالكامل: حصن الدين ثعلب بن الأمير نجم الدين علي بن الأمير الشريف فخر الدين اسماعيل بن حصن الدولة مجد العرب ثعلب بن يعقوب بن مسلم بن أبي جميل الجمدي، ويشير المقريزي في البيان والإعراب أن نسبه ينتهي إلى علي بن عبد الله بن جعفر زوج زينب بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وولدت له أولاداً عُرفوا بالزيانبة نسبة إليها، كما عُرفوا أيضاً باسم الجعافرة وهم بنو جعفر الذين بصعيد مصر الأعلى، ومنهم ثعلب الذي هو من بطن بني محمد أحد بطني الجعافرة، وأما البطن الثاني فهم بنو عبد الله، وكان حصن الدين عندما ثار ولم يرغب في سلطنة المماليك أميراً للجعافرة ورئيساً للقوم، المقريزي، البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، د . ط،تحقيق: فردناند واسطون فيلد، طُبع بجوتنجن/ ألمانيا، 1847م، نسخة إلكترونية للمكتبة الشاملة، مطبوعة عن: دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل، إعداد: عبد المجيد عابدين، ص ص 21 . 24.

(3) المقريزي، السلوك، ج1، ص 479.

ذلك، ما لا حصل من الفرنج أكثر منه»[1]. وكثرت جموعهم إذ بلغت على ما يزيد اثني عشر ألف فارس، وستين ألف راجل بالسلاح والعدد[2].

فكلف الملك المعز أبيك فارس الدين أقطاي الجمدار، وفارس الدين أقطاي المستعرب[3]، وسارا إليهم في خمسة آلاف فارس[4]، وعلى الرغم من قلة عدد جند المماليك مقارنة بالثائرين، إلا أنهم تمكنوا من هزيمتهم نظرا لبراعة المماليك في القتال، وخبرتهم في إعداد الخطط الحربية، إذ قتل من العربان الثائرين أربعمائة رجل، وأسر المماليك عددا من النساء والأطفال وغنموا الخيول والجمال والمواشي، بينما فرّ حصن الدين وظل طليقًا[5]، وجدد ثورته في عهد السلطان بيبرس البندقداري الذي تمكن من استدراجه وشنقه في الإسكندرية[6].

ومن بين الثورات الداخلية التي تصدى لها المماليك بقوة، ثورتان داخليتان عند اعتلاء بيبرس السلطنة، وكانتا متزامنتان، فاستغلهما بيبرس أحسن استغلال لتقوية سلطة المماليك داخليًا وخارجيًا[7].

---

(1) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج29، ص 275.

(2) المقريزي، السلوك، ج1، ص 480.

(3) فارس الدين أقطاي المستعرب: هو غير فارس الدين أقطاي الجمدار الذي قتله المعز أبيك، ويسمى أقطاي المستعرب أيضاً بالصغير تمييزًا له عن أقطاي الجمدار، وهو من مماليك نجم الدين أيوب، وكان خشداشا (زميلا) للمعز أبيك، أصبح أتابكاً ( مربي الأمير) لابنه الملك المنصور نور الدين علي بحكم صغر سنه، عندما تولى قطز السلطنة فوَّض إليه أمر العساكر، وجعله نائباً للسلطنة بمصر وأقطاي هذا هو الذي جعل بيبرس البندقداري سلطاناً على مصر بعد قتله لسيف الدين قطز، توفي يوم السبت 9 جمادى الثانية 673هـ/1273م، ودفن بالقرّافة قرب الإمام الشافعي، النويري، نهاية الأرب، ج29، ص 459،ج 30، ص216.

(4) المقريزي، السلوك ج1، ص 480.

(5) العبادي، المرجع السابق، ص 119.

(6) طقوش، مرجع سابق، ص92، وتذكر رواية المقريزي أن حصن الدين طلب الأمان من الملك المعز الذي أمنه هو ومن معه، وكانت عدتهم نحو ألفي فارس وستمائة راجل، فقبض عليه وشنق الجميع، وبعث بحصن الدين إلى ثغر الاسكندرية وسجنه واليها الأمير شمس الدين محمد بن باخل، حتى شنقه الظاهر بيبرس. أنظر : المقريزي السلوك ج1، ص 480، والبيان والإعراب، ص 24.

(7) العبادي، مرجع سابق، ص152.

بالنسبة للثورة الأولى؛ كانت في دمشق في شهر ذي الحجة 658هـ/نوفمبر 1260م [1]، قادها عَلَمُ الدين سنجر الحلبي أحد أمراء المماليك، كان المظفر سيف الدين قطز فوضه نيابة السلطة بدمشق، وبعد مقتل قطز أعلن نفسه سلطاناً هناك، وتلقب بالملك المجاهد، وخطب له على المنابر كما ضربت السكة باسمه[2]، وكان سبب إقدامه على ذلك احتجاجاً منه على مقتل قطز الذي ولاه على دمشق، وتولي بيبرس السلطنة دون استشارة الأمراء الآخرين[3].

وبعد فشل مساعي بيبرس في حل المشكلة مع علاء الدين سنجر بطرق سليمة، لجأ إلى استعمال القوة، إذ سيَّر فرقة من الجند بقيادة أستاذه علاء الدين أيدكين البندقدار، وتمكن من هزيمته والقبض عليه، وحمله إلى مصر، ثم عفى عنه بيبرس وأطلق سراحه، وبعدها استقرت دمشق لبيبرس، وأقيمت له الخطبة بها، وبغيرها من بلاد الشام كحمص وحماة وحلب، وبقي أيدكين بدمشق يدبر أمورها[4].

كما قامت ثورة أخرى ضد بيبرس قادها آقوش البُرلي، أحد الأمراء المماليك التابعين للملك العزيز صاحب حلب، وكان قطز قد عين البرلي أميرا على السواحل وغزة[5]، وفي سنة 659هـ/1261م أرسل إليه الظاهر بيبرس قوة عسكرية بعد استيلائه على حلب، بمساعدة فرق من الأمراء العزيزية والناصرية، وتمكن من الفرار خارج حلب لكن قبض عليه[6]، وطلب

---

(1) طقوش، المرجع السابق، ص90.

(2) العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ط1، ج27، د . ت، المجمع الثقافي، أبوظبي / الإمارات العربية المتحدة، 2002، ص 389.

(3) طقوش، المرجع السابق، ص90.

(4) العمري، مسالك الأبصار، ج27، ص392.

(5) نفس المصدر، ص387.

(6) طقوش،تاريخ المماليك، ص91.

العفو من بيبرس فعفا عنه، وكان كريماً معه ومع بعض الأمراء المماليك الذين حاولوا الإطاحة به في القاهرة في السنة نفسها[1].

أما بالنسبة للثورة الثانية فقد كانت بمصر أواخر سنة 658هـ/1260م، تزعمها أحد رجال الشيعة يدعى بالكوراني[2]، والتف حوله جمع من الغلمان والركبدارية[3]، وجماعة من السودان، وأخذ يدعو إلى استبدال النظام السني القائم بمصر بنظام شيعي، وأظهر الورع والزهد، أقام بقبة له على الجبل الأحمر، ووعد أتباعه بالإقطاعات، كما كتب لبعضهم رقاعاً ببلاد معينة، فخرج الثائرون بالقاهرة واستولوا على الأسلحة والخيول، مرددين عبارة "يا آل علي"، فما كان من السلطان بيبرس أن واجه هذه الثورة بعنف وقوة شديدين، إذ تمكن جنده من الإحاطة بالثوار، واعملوا فيهم القتل، وأسر زعمائهم الذين كان من بينهم الكوراني وصلبهم على باب زويلة[4].

### ج. التخلص من المطالبين بالعرش من الأيوبيين ببلاد الشام:

سعى المماليك في بداية أمرهم إلى تعيين طفل من الأسرة الأيوبية ليكون شريكاً لهم في الحكم، وذلك عندما تحرك الأمراء الأيوبين للمطالبة بعرش مصر، وقام صاحب حلب الناصر صلاح الدين يوسف حفيد صلاح الدين الأيوبي بالاستيلاء على دمشق[5]، وتحرك

---

(1) قاسم عبده، وعلي السيد،الأيوبيون والمماليك: التاريخ السياسي، مرجع سابق،ص150.

(2) الكوراني: نسبة إلى إحدى قرى أسفرايين، تقع بنواحي نيسابور منتصف الطريق من جرجان، طقوش، هامش رقم3، ص91.

(3) الركبدارية: هم من يتبعون بيت الركائب الذي تحفظ فيه السروج واللحم ونحوها، وهم يحملون الغاشية (وهي سرج من جلد مخروز بالذهب)، محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، ص 83.

(4) محمود شلبي، حياة المملك الظاهر بيبرس، ط1، دار الجيل، بيروت /لبنان، 1992م، سهيل طقوش، مرجع سابق، ص 91، العبادي، المرجع السابق، ص ص 152. 153.

(5) دخلها الناصر بغير قتال بعد أن فتح له أمراء القيمرية (نسبة إلى قيمر وهي قلعة تقع بين الموصل وخلاط) أبواب البلد، وكان هؤلاء الأمراء معارضين لصعود المماليك إلى العرش بمصر، المقريزي، السلوك، ج1، ص 463، طقوش، هامش رقم 3 ص 41.

باتجاه مصر وذلك في أيام المعز أبيك الذي اتفق مع جماعة المماليك على تولية الأشرف موسى، وهو لقب لهذا الطفل السلطان الذي كان أبوه يوسف صاحب اليمن، وهو يوسف أطسز بن المسعود بن الكامل الأيوبي وكان عمره ست سنوات[1]، ويشير ابن خلدون أن المعز اكتفى برتبة الأتابكية (مربي الأمير)، إلا انه لم يكن للأشرف من الحكم سوى الاسم بعد أن صار يُخْطَبُ باسمها (المعز والأشرف) على المنابر، «فكانت المراسيم والمناشير تخرج عن الملكين...إلا أن الأشرف ليس له سوى الاسم في الشركة لا غير ذلك وجميع الأمور بيد المعز أبيك»[2].

إلا أن هذه المناورة من المماليك لم تفلح في ثني الأيوبيين عن المطالبة بالعرش المصري على اعتبار أنهم هم ورثته الشرعيين، فخرج الناصر صلاح الدين يوسف وبصحبته جماعة من الملوك من أهل بيته ومنهم: الصالح إسماعيل بن العادل بن أيوب وهو خال أبيه، و الأشرف موسى صاحب حمص، والملك المعظم فخر الدين توارنشاه ابن الناصر صلاح الدين يوسف، وكان بصحبتهم مقدم الجيش شمس الدين لؤلؤ[3].

و عندما بلغ المعز أبيك مسير الناصر إلى مصر جهز جيشه، وتناسى المماليك خلافاتهم وانضووا تحت لواء واحد لمقاتلة الأيوبيين[4]، والذي يعنينا من سرد هذه الأحداث هو الكيفية التي تمكن بها المماليك من الحصول على اعتراف من الأيوبيين بسلطنتهم القائمة بمصر، وهذا الاعتراف كان وليد الظروف التي طرأت على المسلمين بعد أن أحدق الخطر

---

(1) عبد الرحمن ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج5، د.ط، تقديم عبادة كحيلة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة/ مصر، 2007، ص 374.

(2) المقريزي، السلوك، ج1، ص 464.

(3) العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج1، تحقيق: محمد محمد أمين، د.ط، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة /مصر، 2010م، ص 39.

(4) والتقى الجيشان في 10ذي الحجة 648هـ، فبراير 1251م عند العباسة الواقعة بين مدينتي بلبيس والصالحية وانتهت المعركة بانتصار المماليك على الأيوبيين وفرار الناصر إلى الشام، طقوش، تاريخ المماليك،ص54.

المغولي بهم جميعا، وسعي الخليفة العباسي المستعصم لتوحيد العالم الإسلامي لمواجهة هذا الخطر، بإنهاء الصراع بين المماليك والأيوبيين، ونجحت سفارته التي أوفدها بقيادة نجم الدين البادرائي للطرفين المتنازعين في التوفيق بينهما[1]، وتم التوصل إلى اتفاق بين الطرفين في أوائل 651هـ/1253م، تقرر فيه ما يلي[2]:

1. اعتراف الناصر يوسف بسلطة أيبك وبسيادة المماليك على مصر وبلاد الشام حتى نهر الأردن، على أن تدخل مدن غزة وبيت المقدس والساحل الفلسطيني كله في حوزته.
2. اعتراف المماليك بسيادة الأيوبيين على بقية بلاد الشام.

واستغل المعز أيبك هذا الاتفاق وقام بخلع الأشرف موسى، وبذلك كان انتهاء الدولة الأيوبية بالديار المصرية[3]، كما يعتبر هذا الاتفاق بمثابة اعتراف رسمي من الأيوبيين بالدولة المملوكية.

وفي عهد المظفر سيف الدين قطز استطاع المماليك مد نفوذهم إلى بلاد الشام كلها، وذلك بعد معركة عين جالوت الشهيرة 26 رمضان 658هـ/3 ديسمبر 1260م، التي أوقفت المد المغولي باتجاه البلاد العربية، وأثنائها فشل الأيوبيون الضعفاء أصلاً في صد الهجمة المغولية الشرسة على بلاد الشام، إذ من بين النتائج التي أسفرت عنها هذه المعركة توحيد مصر وبلاد الشام تحت سلطان المماليك، وقام قطز قبل عودته إلى مصر بترتيب أمور البلاد الشامية، فجعل علم الدين سنجر الحلبي نائبا بدمشق[4]، كما تسامح مع بعض الأمراء الأيوبيين ممن دخلوا في طاعته، وإبقاءهم على إمارتهم الصغيرة من بينهم نذكر:

---

[1] ابن خلدون، المصدر السابق، ص 375.

[2] طقوش، المرجع السابق، ص 57.

[3] العيني، عقد الجمان، مصدر سابق، ج1، ص53.

[4] ابن تغري بردي، النجوم، ج7، ص 83.

الملك المنصور ناصر الدين صاحب حماة، والملك الأشرف صاحب حمص، وبعد أن أعاد الاستقرار إلى حلب جعل عليها علاء الدين بن صاحب الموصل نائبا للسلطة بها[1].

وفي زمن الظاهر بيبرس تخلص هذا الأخير من آخر الأمراء الأيوبيين المناوئين لنظام الحكم المملوكي القائم بمصر، وهو المغيث عمر صاحب الكرك و الشوبك الذي كان بيبرس يخشى من طموحاته قبل أن يتولى أمر السلطنة، إذ يبدو أن المغيث عمر لم يكن مقتنعا بحكم المماليك، وظلت تساوره فكرة إعادة إحياء مجد الدولة الأيوبية المندثر، وأنه أولى بحكم مصر منهم، لذلك سعى بيبرس إلى التخلص منه على الرغم من شفاعة الخليفة العباسي بالقاهرة (الحاكم بأمر الله) في المغيث وقبول بيبرس شفاعته، وإبقائه في الكرك[2]، وذلك عندما علم السلطان بأن المغيث عمر قام بمكاتبة هولاكو سراً يحثه على مهاجمة بلاد الشام، وطلب منه أن يعينه ملكا عليها ويكون تابعا له، وحصل بيبرس على فتوى من العلماء تقضي بأن المتعاون مع المغول يكون جزاؤه القتل، وعلى الرغم من استعطاف أم المغيث التي لقيها بيبرس في غزة سنة 661هـ/1263م، وطلبها الأمان لابنها من السلطان وأجابها لذلك[3]، إلا أنه تمكن من استدراجه للحضور إلى معسكره في بيسان بفلسطين، وقبض عليه وأرسله إلى القاهرة ،ثم عقد مجلساً قضائياً كشف فيه للقضاة عن تلك المراسلات التي تبادلها المغيث مع هولاكو، فقتله بموجب الفتوى المذكورة التي حصل عليها في شهر جمادى الثانية 661هـ/1263م (شهر افريل)، وضم بيبرس أملاكه وعين والياً من قبله على الكرك، وهناك من يشير إلى أن قصة المراسلات مع هولاكو مختلقة أصلاً من قبل بيبرس، هدفها التخلص من المعارضين للحكم المملوكي[4].

---

(1) العيني، عقد الجمان، ج1، ص 248.

(2) طقوش، المرجع السابق، ص 106.

(3) ابن خلدون، المصدر السابق، ص 384.

(4) طقوش، المرجع السابق، ص ص 106-107، العبادي، مرجع سابق، ص ص 187-189، شبارو، المماليك، ص 17.

## 2. بالنسبة للمستوى الخارجي:

فالملاحظ أن الدولة المملوكية الناشئة تمكنت من تثبيت نظام حكمها من خلال:

### أ. مواجهة خطر المغول والحد من توغلهم في قلب المنطقة العربية:

يرى الكثير من الباحثين أنه إذا كانت معركتي المنصورة وفارسكور ضد الصليبيين سنة 648هـ/1250م، بمثابة الصرخة التي نجم عنها ميلاد الدولة المملوكية، فإن معركة عين جالوت ضد المغول تعد بمثابة شهادة الميلاد الرسمية لهذه الدولة[1]، لأنها أكسبتهم شرعية أمام جميع المسلمين[2]، تلك الشرعية التي طالما افتقدوها، وكانوا بأمس الحاجة إليها بسبب نسبهم غير الحر، فكانت الضرورة تقتضي منهم القيام بعمل كبير يضفي عليهم نوعا من التشريف[3]، ويجعلهم يحضون بنوع من القبول من طرف المسلمين عامة، ومن هنا تبرز الأهمية السياسية والعسكرية للانتصار الذي حققه المماليك في عين جالوت، إذ أصبحوا القوة الإقليمية الكبرى في المنطقة، والورثة الشرعيين لكل من الأيوبيين و العباسيين على حد سواء[4]، وكسبوا أيضا احترام وتقدير وعطف الدول الإسلامية، التي اعترفت لهم بالدور التاريخي الذي قاموا به في الدفاع عن الإسلام وحرمة المسلمين[5].

---

(1) قاسم عبده قاسم، عصر سلاطين المماليك: التاريخ السياسي والحضاري، ط1، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 1998، ص 65.للإطلاع على تفاصيل هذه الوقعة ينظر المبحث الثالث من هذا البحث، ص97.

(2) الصاوي محمد الصاوي، قطز قاهر التتار، ط1، مكتبة النافذة، مصر، 2012م، ص ص 212-213.

(3) طقوش، المرجع السابق، ص 82.

(4) قاسم عبده قاسم، المرجع السابق، ص 71-72.

(5) طقوش، المرجع السابق، ص 82.

**ب.إعادة إحياء الخلافة العباسية في مصر:**

سعى الأمراء المماليك الذين انفردوا بالسلطة في مصر منذ البداية؛ للحصول على سند شرعي وديني وأدبي لحكمهم من الخلافة العباسية، فالمعز أبيك التركماني حصل كما سبقت الإشارة على تقليد من الخليفة العباسي المستعصم بالله في بغداد، وعلى اعتراف رسمي بدولته، وبعد مقتله سعى كذلك خلفاءه من السلاطين إلى الحصول على مثل ذلك التقليد، وذلك بهدف تقوية نفوذهم وتعزيز مكانتهم سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي، إلا أن الظروف تغيرت مع الغزو المغولي لبغداد وقتلهم للخليفة المستعصم سنة 656هـ/1258م، إذ أصبح المسلمون جميعا بلا خليفة لأول مرة، خاصة وأن الخلافة العباسية كانت هي الخلافة الوحيدة الباقية بعد زوال خلافتي قرطبة والفاطميين، وحتى خلافة الموحدين، فلم يكن من السهولة بما كان أن يستوعب المسلمون هذا الأمر[1].

والملاحظ أن فكرة إحياء الخلافة العباسية في القاهرة، ساورت مختلف الأطراف المتنافسة على السلطة في مصر وبلاد الشام[2]، إلا أن السلطان الذي نجح في تطبيق هذه الفكرة على أرض الواقع، وبشكل عملي وسريع هو الظاهر بيبرس فعندما وصلته الأخبار من الأمير علاء الدين طيبرس أحد نواب السلطنة المملوكية بالشام، بوجود أمير عباسي فرّ إلى بلاد الشام من بطش المغول، يدعى أبو القاسم أحمد[3]،مع جماعة من عرب خفاجة العراقية،

---

[1] ماجد، مرجع سابق، ص 110.

[2] المقصود هنا: الناصر يوسف صاحب دمشق وحلب، والمظفر سيف الدين قطز، وللإطلاع على مساعيهما وكذلك مساعي من قبلهم من حكام الدولة الطولونية والإخشيدية في نقل مقر الخلافة العباسية إلى مصر . العبادي، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ص 154-155.

[3] أبو القاسم أحمد: هو أحمد بن الظاهر بأمر الله أبي نصر أبي نصر محمد بن الناصر لدين الله أبو العباس أحمد الذي حكم من 575 . 622هـ/1178 . 1225م، بن المستضيء بأمر الله أبي محمد الحسن بن أبي المستنجد بالله أبي المظفر يوسف بن المقتفي لأمر الله أبي عبد الله محمد بن المستظهر بالله إبي العباس أحمد أمير المؤمنين، قطب الدين اليونيني، ذيل مرأة الزمان، ط2،ج2،د . ت، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة/مصر،1992، ص 95.

سيّر كتابا بضرورة قدوم هذا الأمير إلى القاهرة[1].

وفي الوقت ذاته ظهر أمير آخر واسمه أبو العباس أحمد بن أبي علي[2]، التجأ إلى دمشق قبيل الغزو المغولي، بعد أن أقام عند القبائل العربية الكائنة بضفاف الفرات، ومنها قبيلة آل فضل العربية وأميرها عيسى بن مهنا، وكذلك قبيلة خفاجة المتواجدة في المنطقة الممتدة من هيت والأنبار إلى الكوفة...وغيرها من القبائل التي ساندت المماليك في معركة عين جالوت، من خلال تسهيل حركة القوات المملوكية على ضفتي نهر الفرات[3].

وقام هذا الأمير (أبو العباس أحمد) بمطاردة فلول المغول بعد هزيمتهم في عين جالوت، بمشاركة جماعة من القبائل العربية العراقية، من بينهم القبيلتان السالف ذكرهما، وتمكنوا من قتل نحو ألف وخمسمائة فارس، من بينهم ثمانية أمراء، والعودة إلى هيت[4].

ويذكر اليونيني أن الأمير أبا القاسم أحمد الذي أرسل الظاهر بيبرس في طلبه للقدوم إلى القاهرة، أنه كان محبوساً ببغداد مع جماعة من بني العباس، وأُطلق صراحهم عندما اجتاح المغول بغداد، وسار إلى عرب العراق واختلط بهم[5]، وقدم القاهرة إذ استقبله السلطان أحسن استقبال، وأكرم وفادته، فـ «....ركب للقائه في موكب مشهود وحفل محفود وأنزله في القلعة [قلعة الجبل] وبالغ في إكرامه...»[6]، وبويع بالخلافة يوم الاثنين 13 رجب

---

(1) جاسم محمد جاسم، جهود الأمراء المماليك في إحياء الخلافة العباسية، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مج 14، العدد 6، جامعة تكريت/العراق، 2007، ص 233.

(2) أبو العباس أحمد: بن الامير أبي علي القبي بن الامير علي ابن الامير كبر بن الخليفة المسترشد بالله ابي منصور الفضل (حكم من 512هـ-529هـ/1112-1129م)، بن الخليفة المستظهر بالله أبي العباس أحمد (487-512هـ/1204-1229م)، اليونيني، ذيل مرآة الزمان ،ص 186.جاسم محمد جاسم، المرجع السابق، هامش رقم 39، ص 249.

(3) جاسم محمد، المرجع السابق، ص 231.

(4) نفس المرجع، ص 232.

(5) اليونيني، المصدر السابق ، ج2، ص ص 91-92.

(6) بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، ص 60.

659هـ/1260م بعد إثبات نسبه[1]، إذ شهدت جماعة العرب التي قدم معها بأن أبا القاسم أحمد هو ابن الظاهر محمد بن الإمام الناصر، وبذلك يكون عم الخليفة المستعصم بالله الذي قتله المغول ببغداد[2]، وقُرئ نسب الخليفة على قاضي الديار المصرية تاج الدين عبد الوهاب بن بنت الأعز، الذي كان أول من بايعه بالخلافة، ثم بايعه الملك الظاهر بيبرس، والشيخ عز الدين بن عبد السلام[3]، والأمراء والأعيان من أهل الحل والعقد، وكانت بيعته بالإيوان الكبير في قلعة الجبل، وتلقب الخليفة على غير عادة الخلفاء بلقب أخيه وهو المستنصر بالله، وذلك يحدث لأول مرة في تاريخ الخلفاء[4]، ونُقش اسمه على السكة وخُطب له على المنابر بأمر من الظاهر بيبرس[5].

وعزم بيبرس على تجهيز الخليفة في حملة والخروج لاستعادة مقر الخلافة من أيدي المغول «وشرع في تجهيز الخليفة إلى كرسيه ببغداد فاستخدم له العساكر وأقام له الفساطيط

---

[1] هناك من المؤرخين من شكك في نسب الأمير أبو القاسم أحمد، ومن بينهم أبو الفدا عماد الدين صاحب كتاب المختصر في أخبار البشر، وذلك من خلال ما كتبه عن أخبار هذا الأمير ضمن عنوان يوحي بكثير من الشك في نسبه وهو "ذكر مبايعة شخص بالخلافة وإثبات نسبه، كما وصفه بالخليفة الأسود، وذكر أن العامة من الناس كانت تلقبه بالزرابيني وهو لقب غريب نسبه أبو الفدا إلى لفظ زربون المستعمل في مصر للدلالة على الشخص الأسود، للاستزادة أكثر يُنظر أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج3 ، ط1، د . تح، المطبعة الحسينية المصرية، د . ت،ص 212، وللإطلاع أكثر على المؤرخين الذين شككوا في نسب أبي القاسم أحمد يُنظر العبادي، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص ص 157 . 158.

[2] أبو الفداء، المصدر السابق، ص 212.

[3]العز بن عبد السلام:هو أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السُّلَمي، الشافعي مذهباً، المغربي أصلاً، الدمشقي مولداً،ثم المصري داراً ووفاتاً، الملقب بسلطان العلماء،ولد في سنة 577هـ أو 578هـ/1181م أو 1182م ، وتوفي سنة 660هـ/1264م، كان لا يخشى السلاطين ولا يهاب قوتهم، من ذلك قصة بيعه لأمراء دولة المماليك الذين ثبت عندهم أنهم ليسو أحرارا فأبطل بيعهم وشرائهم ونكاحهم فتعطلت مصالحهم، وأصر على رأيه إلى أن أذعنوا له فعقد لهم مجلساً ونادى على أمراء المماليك واحداً واحداً وغالى في أثمانهم ، وقبضه وصرفه في وجوه الخير، للإستزادة أكثر حول ترجمة حياته ينظر: عز الدين بن عبد العزيز بن عبد السلام، أحكام الجهاد وفضائله، تحقيق نزيه حماد، ط1،مكتبة دار الفاء للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، 1986م، ص ص 8 . 33.

[4] اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ص 96.

[5] جاسم محمد جاسم، مرجع سابق، ص 234.

والخيام ورتب له الوظائف وأزاح علل الجميع، يُقال أنفق في تلك الحملة نحوًا من ألف ألف دينار»[1]،كما التقى الخليفة العباسي أثناء مسيره بالأمير العباسي الذي ذكرناه سابقًا أبو العباس أحمد، وكان معه سبعمائة فارس من التركمان[2] ، وحصل توافق الكلمة بينهما وتوحيد الجهود لمقاتلة المغول وإعادة الخلافة إلى بغداد[3] ، إلا أن هذه المحاولة فشلت بعد أن تعرض جيش الخليفة لكمين نصبه المغول ، وانهزم في منطقة الأنبار وقتل هناك الخليفة المستنصر بالله في محرم سنة 660هـ/1261[4].

وتمكن الأمير أبو العباس أحمد من النجاة ومعه بضعة من الأمراء في نحو خمسين فارس فقط[5]، وتأسف الظاهر بيبرس لمقتل الخليفة[6]، الذي يبدو أن فكرة إقامة الخلافة العباسية ظلت هي هدفه الأساسي، فعمل على إحيائها للمرة الثانية ولكن في مصر، دون التفكير في نقل الخليفة مرة أخرى للعراق، فلم يجد بداً من استدعاء الأمير أبا العباس أحمد الناجي من معركة الأنبار إلى القاهرة، وقام بمبايعته بالخلافة مثلما فعل مع المستنصر بالله، وأقام الاحتفال لذلك، وتلقب الخليفة بلقب الحاكم بأمر الله، بعد أن قُرئ نسبه بحضور الشهود والقضاة، وأولي الأمر من أهل الحل والعقد.

وفي هذه المبايعة حصل بيبرس على تقليد من الخليفة الجديد إذ «...أقبل الخليفة على السلطان وقلده أمور البلاد والعباد ووكل إليه تدبير الخلق وجعله قسيمه في القيام بالحق وفوض إليه سائر الأمور...ثم أخذ الأمراء والوزراء والقضاة والأجناد والفقهاء والناس على

---

[1] ابن خلدون، مصدر سابق، ص 382.

[2] اليونيني، مصدر سابق، ص 110.

[3] العبادي ، في تاريخ الأيوبيين والمماليك،ص 159.

[4] جاسم محمد جاسم، مرجع سابق، ص 235.

[5] العبادي، المرجع السابق، ص 160.

[6] طقوش، مرجع سابق، ص 96.

اختلاف طبقاتهم في المبايعة له...»[1]، وبذلك حقق بيبرس البندقداري عدة أهداف من إحياء الخلافة العباسية في مصر، منها ما هو مرتبط بشخصه هو، ومنها ما هو مرتبط بالدولة المملوكية ذاتها.

فعلى مستوى شخص بيبرس تمكن من الحصول على تقليد الخلافة مثلما أشرنا إلى ذلك، ليحيط اعتلائه عرش السلطنة بسياج من الحماية الروحية خاصة وأنه قتل المظفر قطز وتسلطن بدلاً عنه، وبذلك حصل على نوع من الوقاية (المعنوية) من خطر الطامعين في السلطنة من الأمراء الأيوبيين بالشام هذا من جهة، ومن جهة أخرى إبعاد كيد المنافسين له من أقرانه من أمراء المماليك في مصر، الذين اعتادوا على الوصول إلى الحكم عن طريق تدبير المؤامرات[2].

أما على مستوى الدولة المملوكية، أضاف بيبرس سنداً معنوياً وأدبياً ودينيا لسلطنة المماليك في مصر، إذ صار السلاطين المماليك منذ ذلك الوقت إلى غاية العهد العثماني سنة 963هـ/ 1517م يفرضون لأنفسهم مكانة عالية على حكام العالم الإسلامي، وينكرون عليهم حق التلقب بلقب السلطان، باعتبارهم وحدهم الأحق شرعا بهذا اللقب، كونهم حماة الخلافة المتمتعين ببيعتها[3].

كما حققت دولة المماليك أهدافاً سياسية توسعية بمد نفوذها على البلدان المجاورة لمصر، خاصة بلاد الحجاز، وبذلك تقوى المركز الأدبي للسلطنة المملوكية في نظر المسلمين،

---

[1] بيبرس المنصوري ، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، مصدر سابق، ص 78.

[2] طقوش،تاريخ المماليك، ص 93.

[3] العبادي، في تاريخ الأيوبيين، ص 162.

ورفعت مكانتهم باعتبارهم حماة الحرمين الشريفين، وبذلك أمنوا حدود مصر الشرقية، وبسطوا امتدادهم حتى نهر الفرات[1].

أما بالنسبة للخلافة العباسية، فلم تكن لها استفادة عملية واضحة، بل إن استفادتها كانت صورية، ويتضح ذلك من خلال عدم إقدام السلطان بضرب اسم الخليفة على السكة كما فعل في المرة الأولى، بل أمر بالاكتفاء بالدعاء له على المنابر فقط[2]، كما أن صلاحيات الخليفة كانت مقيدة وضيقة جدا، ولم يترك له فرصة للظهور إلا نادراً، حتى لا يتمكن من إبراز نفوذه على حساب السلطة (الزمنية) السياسية الحاكمة فعلياً[3]، وصار الخلفاء منذ ذلك الحين أشبه بالسجناء تقريباً، إذ شيدت لهم دور خاصة في أبراج القلعة، أو مناظر الكبش بالقاهرة[4]، واقتصر دورهم على ما يلي:

- كتابة التقاليد السلطانية للسلطان المملوكي الذي يتولى السلطنة في مصر وبلاد الشام.
- تهنئة السلطان المملوكي بحلول كل شهر جديد !
- مرافقة السلطان المملوكي أحياناً أثناء خروجه في الحملات العسكرية المهمة، التي تتطلب التهيئة والتعبئة الكاملة لمواجهة الأخطار المحدقة بالدولة، وتعتبر تلك المرافقة نوع من الدعم المعنوي للجيش المملوكي[5].

---

[1] طقوش، المرجع السابق، ص 94، يمكن الإطلاع في آخر هذا البحث على خريطة تبين حدود الدولة المملوكية عند قيامها ملحق رقم2، ص 124.

[2] العبادي، المرجع السابق، ص 161.

[3] طقوش، المرجع السابق، ص 97.

[4] العبادي، المرجع السابق، ص 162.

[5] جاسم محمد جاسم ، المرجع السابق، ص 240.

من خلال ما تم استعراضه حول تاريخ المماليك ووصولهم إلى السلطة في مصر وبلاد الشام نستنتج بأنه ساهمت مجموعة من الظروف والعوامل السياسية والعسكرية في صعود المماليك إلى السلطة منها ما هو مرتبط بالظروف الداخلية لمصر وبلاد الشام، خاصة ما تعلق بأحوال الدولة الأيوبية التي كانت تعيش آخر أدوارها، نتيجة الضعف والتراجع الذي دب في أوصالها، ومنها ما هو متعلق بالظروف الخارجية المتمثلة أساساً في الأخطار المحدقة بالمنطقة من الصليبيين أو المغول على حد سواء، كما استطاعت دولة المماليك البحرية استثمار انتصاراتها العسكرية المحققة ضد الصليبيين والمغول، في المنصورة وفارسكور وعين جالوت، وتمكنت من تثبيت دعائم سلطنتها الناشئة على حساب الدولة الأيوبية، كما تمكنت من إضفاء طابع الشرعية على حكمها بحصول سلاطين المماليك على اعتراف وتقليد من الخلافة العباسية في بغداد من جهة، وبإعادة إحياء تلك الخلافة في مصر من جهة أخرى، بعد أن قضى عليها المغول عند اجتياحهم بغداد سنة 656هـ/ 1258م .

## المبحث الثاني: المؤسسة العسكرية المملوكية

- التنشئة العسكرية للمماليك

- فرق الجيش المملوكي

- الجانب الإداري للجيش المملوكي البحري

ستناول في هذا المبحث الجانب التنظيمي والإداري في المؤسسة العسكرية المملوكية، إذ من المعروف أن قوة دولة المماليك البحرية كانت تكمن في جيشها الذي خضع لنظام محكم، بفضله تمكنت من مواجهة أعدائها سواء الصليبيين أو المغول، وعليه سندرس نظام تربية المماليك، وأهم فرق الجيش المملوكي، فضلا عن الإقطاع الحربي والرواتب المعروفة بالجوامك، وأهم الدواوين العسكرية والبيوت المعروفة بالخانات،وكذلك الرتب (الوظائف)العسكرية.

**1. التنشئة العسكرية للمماليك:**

عرف نظام تربية المماليك تطوراً كبيراً في عهد دولتهم الناشئة في مصر وبلاد الشام[1]، وذلك راجع إلى الظروف التي قامت فيها هذه الدولة والدور الحربي الذي كان منوطاً بها، إذ كان عليها مواجهة خطرين أجنبيين في وقت واحد(المغول والصليبيين)، ولم يكن هذا النظام جديداً بالمرة وإنما هو مقتبس من نظم التربية والتدريب لدى الدولة الأيوبية، وقامت تربية المماليك على أسس دينية، وذلك لما للدين من تأثير فعال على النفوس وشحذ الهمم لمواجهة الصليبيين والمغول الوثنيين على حد سواء [2].

كان السلطان يرسل المماليك الصغار- بعد شرائهم- للفحص الطبي للتأكد من سلامتهم الصحية ، قبل أن يسمح باختلاطهم مع المماليك السابقين[3]، وهذا الإجراء هو أشبه بما هو متبع اليوم في النظم العسكرية الحديثة، ثم يرسلهم إلى الطباق[4] أين يتلقون التربية

---

[1]عبد النعم ماجد، الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية، د . ط ، دار الفكر العربي، القاهرة/ مصر،1997، ص150.

[2]أحمد مختار العبادي، قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام،د . ط، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2006، ص 95، الجزار، النظام العسكري، في دولة المماليك، مرجع سابق،ص 27 .

[3]إسرايليان، فن الحرب في العصر المملوكي الأول، مرجع سابق،ص 55.

[4]الطباق:هي حجرات تعليم المماليك الصغار تقع في قلعة الجبل بالقاهرة، بُنيت في عهد الظاهر بيبرس ثم توسيعها وزيد في تنظيمها فيما بعد، ممن جاء بعده من السلاطين، بلغ عدد ها اثني عشر طبقة وفي كل واحدة منها عدة=

والتعليم، وكان ترتيبهم في الطباق حسب الانتماء العرقي مثلما أشار إلى ذلك المقريزي، أن السلطان كان ينزل المملوك بعد شرائه في طبقات جنسه[1]، فمثلا توضع طائفة الأرمن والروم واللان والجركس مع بعضهم لتقارب موطنهم، وكذلك طائفة جنس الخطا والقفجاق معًا وهكذا[2] ، وسميت هذه الطائفة بالمماليك الكتابية أو حسب قول المقريزي "برسم الكتابة"[3] الذي يقصد به تعليم المماليك[4] وكان الطواشية (مفردها طواشي) هم المسؤولون عن تربية المماليك، وأحياناً يسمون "الأغا".

كما عرفوا أيضاً باسم المماليك الخصيان الموجهون لخدمة السلطان وحريمه[5]، وهنا لابد من التفريق بينهما فطائفة الطواشية عرفت منذ العصر الأيوبي حيث كانوا من بين المسؤولين على وحدات الجيش الأيوبي، وهم حتى زمن المماليك المشرفين على التدريب طوال فترة التربية في الطباق، أما الخصيان فكانوا مسؤولين عن تطبيق النظم المحددة بما فيها الأمور الصحية، فهم بمثابة الضباط والإداريين أو ما يعرف في الوقت الراهن بأركان حرب الوحدة[6] ، ومهما اختلفت تسمية الطواشية فإنهم كانوا يحضون بمكانة عالية بين أواسط المماليك، فإذا ظهر من أحدهم ما يسئ الأخلاق استدعى السلطان "الأغا" أو الطواشي وأمره بمعاقبة المملوك المسيء[7].

---

=مساكن تتسع لألف مملوك، وفيها كان يتم تعليم وتدريب المماليك حتى يتم تخريجهم وإلحاقهم بالخدمة العسكرية، العمايرة، المعجم العسكري المملوكي، مرجع سابق،ص 194.

[1]المقريزي، الخطط، ج3،مصدر سابق ،ص372.

[2] إسرائيليان، فن الحرب، ص55.فهيم، الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري ،ص ص 30 . 31.

[3]المقريزي، الخطط ، ج3، ص372.

[4]السيد الباز العريني، المماليك، د . ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، د . ت، ص91.

[5] هاني فخري عطية الجزار، النظام العسكري في دولة المماليك (648 . 923هـ/ 1259 . 1300م)، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف: رياض مصطفى شاهين، كلية الآداب بالجامعة الإسلامية في غزة، 2007م، هامش رقم 3،ص27.

[6]فهيم، الفن الحربي،ص 34.

[7] المرجع السابق، ص31.

وتمر تربية وتدريب المماليك بثلاث مراحل: تبدأ منذ وصولهم إلى الطباق وهم صبيان صغار السن، مروراً بفترة شبابهم حين يصبحون قادرين على المشاركة في الحياة الإسلامية، وتحمل مسؤولياتهم في المجتمع الجديد، وصولاً إلى مرحلة العتق حين تبرز مواهب المملوك، وينخرط في صفوف المحاربين الأقوياء[1] .

وأول ما يتعلمه المملوك وهو صبي القرآن الكريم، إذ كان لكل طائفة فقيه يحضر إليها كل يوم يعلمها شيئاً من القرآن والخط، مع التمرن بآداب الشريعة وملازمة الصلوات والأذكار[2]، كما يخصص لهم رواتب تسمى جاميكية[3] وإذا شب المملوك علمه الفقيه شيئاً من الفقه وأقرأه فيه مقدمة [4].

في سن البلوغ يبدأ المملوك تعلم الفنون الحربية بشكل نظري في مقدمتها الفروسية[5]، مع استخدام الأسلحة المختلفة وأول ما يبدأ المماليك تعلمه ركوب الخيل، ويكون بالتدرب على ركوب تمثال مصنوع من الطين أو الخشب أو الحجر، فيعلمهم المدرب كيفية الركوب والجلسة الصحيحة، ويطلب من كل واحد منهم الوثوب على التمثال حتى يتم إتقان ذلك تماماً، ثم يضع سرجاً على ظهر التمثال ويمرنهم على الوثوب بخفة ورشاقة وهم يحملون السلاح ومعدات القتال الأخرى [6]، وعندما يتأكد المعلم من إتقان مجموعة المماليك التي

---

[1] للمزيد من التفاصيل حول هذه المراحل ينظر إسرائيليان، مرجع سابق، ص ص59 . 60.

[2] المقريزي، الخطط، ج3، ص372.

[3] الجاميكية: وجمعها جاميكيات وجوامك، وجماكي ،لفظ فارسي مشتق من جامة وتعني اللباس، أي نفقات أو تعويض اللباس الحكومي والمقصود بها الأجر أو الراتب أو المنحة، دهمان، مرجع سابق،ص51.

[4] العريني، المماليك، ص89.

[5] إسرائيليان، مرجع سابق، ص59. وجدير بالإشارة أن التدريب و تعلم فنون الفروسية يكون بدوره على مراحل هي: المرحلة الأولى: ركوب الخيل. المرحلة الثانية:ركوب مع سرج وبدونه. المرحلة الثالثة: رمي القوس.المرحلة الرابعة:الطعن بالرماح. المرحلة الخامسة: التدريب على صنوف الأسلحة.المرحلة السادسة:التدريبات الرياضية القتالية.للإطلاع على هذه المراحل ينظر، إسرائيليان، المرجع السابق، ص ص64 . 74.

[6] الجزار، مرجع سابق،ص 28، فهيم، المرجع السابق،ص ص 35 . 36.

تحت التدريب لذلك يعلمهم الضرب بالقوس في حالتي الكر والفر، باختيار خيول هادئة ثم يتدرج بهم في التدريب شيئاً فشيئاً إلى أن يتمكن الجميع من السيطرة حتى على الخيول ذات الطباع الأكثر شراسة[1].

ونشير هنا إلى وجود العديد من المؤلفات التي كتبت في ذلك العصر، حول الفروسية وأساليب الرمي بالقوس والنشاب والطعن بالرماح من فوق الفرس ومن دونه ... وغيرها، والكثير منها لا يزال مخطوطاً ، نذكر منها أحد المخطوطات التي تمكنت من الإطلاع عليها بعنوان **نهاية السؤل والأمنية في تعلم أعمال الفروسية**[2].

وبعد الانتهاء من طور التدريب يصبح المملوك جاهزاً للتخرج بعد أن تهذبت أخلاقه واصطبغت آدابه بروح الإسلام ، وبرع في فنون القتال، وكانت مدة الدراسة في الطباق أربعة أو خمسة عشر شهراً وتكون مكافئته في النهاية عتقه وإرجاعه حريته، وهنا يكون الإعتاق بالجملة يقام له احتفال خاص بحضور السلطان والأمراء، وذلك بناء على شهادة تسمى اعتاق أو عتاقة [3]، وتسند إليه وظيفة ما ويكتب له إقطاعها، ويظل جندياً موظفا يترقى في سلك الرتب حتى يصل إلى الإمرة، وقد تدفع به الأقدار للوصول إلى السلطنة[4].

وتجدر الإشارة إلى أن تعليم وتربية المماليك في الطباق كان له نظاماً دقيقاً ومرتباً، إذ كان عليهم الذهاب إلى الحمام يوماً في الأسبوع، وهم ممنوعون من الخروج من الطباق خاصة في

---

[1] فهيم، المرجع السابق،ص 36.

[2] محمد بن عيسى بن إسماعيل الحنفي الأقصرائي، نهاية السؤل والأمنية في تعلم أعمال الفروسية، الناسخ:أحمد بن عمر بن أحمد الميسري، تم الانتهاء من نسخ هذه المخطوطة بدمشق في 10محرم 773هـ/25 يوليو1371م، وهو محفوظ بقسم المخطوطات الشرقية بالمكتبة البريطانية تحت رقم Add MS 18866 ،وهذا المخطوط عبارة عن دليل المماليك للفروسية والفنون العسكرية، يحتوي على العديد من الصور الملونة عالية الجودة تظهر الفرسان وطرق تعلمهم الركوب والرمي، فضلا عن كيفية الترتيب في الصفوف أثناء الحملات أو الاستعراض العسكري ...إلخ.

[3]فهيم، الفن الحربي، ص ص 34– 39 .

[4]إسرائيليان،فن الحرب، ص60.

الليل، وكان غذائهم متنوعاً من« اللحوم والأطعمة والحلاوات والفواكه [فضلا عن] الكسوات الفاخرة والمعاليم من الذهب والفضة »[1]، وهذا دليل على مدى اهتمام السلاطين بمماليكهم الذين كانوا ينظرون إليهم بنظرة الأبوة المشبعة بالعطف والحنان[2]، وكانت تربطهم علاقة تسمى الأستاذية إذ أن السلطان أو السيد الذي اشترى المماليك وهم صغار هو الذي رباهم، فهم دوماً رهن إشارته وينفذون أوامره[3]، وأصبح هؤلاء ينتسبون لأساتذتهم و يحملون أسمائهم فمن هؤلاء المماليك: المعزية الذين ينتسبون للمعز أيبك، وكذلك الظاهرية المنتسبون للظاهر بيبرس الذين أصبحوا يشكلون معظم عسكر البلاد في عهد ابنه السلطان السعيد[4] ، أما عن العلاقة التي ربطت أمراء المماليك الذين تربوا ونشئوا في كنف سيد واحد مع بعضهم البعض، فهي علاقة الزمالة وتسمى بالخشداشية أي أنهم جميعاً زملاء وأصدقاء، وكانوا يؤمنون بمساواتهم في كل شيء: في النشأة والأصل والحق والواجب[5] .

كما تميز نظام التربية المملوكية بالصرامة خاصة في زمن الدولة المملوكية الأولى( البحرية)، وذلك ما أشار إليه المقريزي إذ أن المملوك تحت التدريب يؤاخذ أشد المؤاخذة ويناقش ويحاسب على كل تصرفاته: « حركاته وسكناته فإن عثر من مؤدبه الذي يعلمه القرآن، أو الطواشي الذي هو مسلم إليه، أو رأس النوبة[6] الذي هو حاكم عليه، على أنه اقترف ذنباً، أو أخل برسم، أو ترك أدباً من آداب الدين أو الدنيا، قابله على ذلك بعقوبة مؤلمة شديدة بقدر جرمه»[7]، فهذه الصرامة والجدية كانت هي سر قوة دولة المماليك في عهودها الأولى«

---

[1] المقريزي، الخطط، ج3، ص 373.

[2]فهيم، المرجع السابق، ص32.

[3]فايد حماد عاشور، العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى،د . ط،دار المعارف، مصر،1972م، ص 13، وللإستزادة أكثر حول علاقة الأستاذية ينظر العمايرة، المعجم العسكري المملوكي، ص23.

[4]العريني، المماليك، ص160.

[5]الصاوي محمد الصاوي، قطز قاهر التتار، مرجع سابق، ص ص 50 . 51، فايد عاشور، مرجع سابق، ص13.

[6]رأس النوبة: راجع معنى هذه الوظيفة وصاحبها في الصفحة 80 من هذا البحث.

[7]المقريزي، الخطط، ج3، ص373.

فلذلك كانوا سادة يدبرون الممالك، وقادة يجاهدون في سبيل الله »[1]، إلا أن هذا النظام في التربية لم يدم، إذ أخذ سلاطين المماليك مع مرور الزمن في التساهل مع المماليك وطرق تربيتهم، مما أدى إلى نسيان ذلك النهج الصارم في تنشئة المماليك بشكل تدريجي، وأُهمل خاصة في زمن دولة المماليك الثانية ( الجراكسة أو البرجية) إذ سُمح للمماليك بالخروج من الطباق، وسكنوا بالقاهرة التي تزوجوا من نسائها، وأخلدوا إلى البطالة والراحة والدعة ونسوا تلك العوائد على قول المقريزي: « وصارت المماليك السلطانية أرذل الناس وأدناهم وأخسهم قدراً، وأشحهم نفساً، وأجهلهم بأمر الدنيا، وأكثرهم إعراضاً عن الدين، ما فيهم إلا من هو أزنى من قرد، وألص من فأرة، وأفسد من ذئب »[2] .

**2 . فرق الجيش المملوكي:**

قبل الحديث عن فرق الجيش المملوكي تجدر الإشارة إلى أنه ليس كل جند الجيش المملوكي خضع لنظام التربية الذي تحدثنا عنه، بل هناك من التحق بالخدمة العسكرية مباشرة هذا من جهة، من جهة أخرى فإن فرق هذا الجيش تميزت بالتنوع من حيث الأجناس، كما أنها كانت متواجدة بكل أرجاء الدولة المملوكية وما يؤكد صحة ما ذكرناه ما أشار إليه العمري حيث قال: « وأما عساكر هذه المملكة فمنهم من هو بحضرة السلطان، ومن هم من فرق في أقطار هذه المملكة وبلادها، ومن هم سكان بادية كالعرب والتركمان. وجنده مختلط من أتراك وجركس وروم وأكراد وتركمان،وغالبهم من المماليك المبتاعين،وهم طبقات»[3].

و يشير السيد الباز العريني إلى صعوبة التفرقة بين فئات الجيش المملوكي ، وذلك راجع إلى التطور الذي عرفه هذا الجيش، مما نجم عنه تغيير في مدلولات الألفاظ الاصطلاحية التي

---

[1]نفس المصدر ص373.

[2]المقريزي، الخطط، ج3، ص 373.

[3]شهاب الدين العمري،مسالك الأبصار، مصدر سابق، ج 3، ص 429، المقريزي، الخطط، ج3، ص 376.

عرفت بها فرق الجيش فهي لم تستقر على معنى أو مدلول واحد طوال عصر المماليك[1] ، ومع ذلك فإنه يمكن القول بشكل عام بأن الجيش المملوكي تكون من ثلاث فرق رئيسية هي: المماليك السلطانية، ومماليك الأمراء، و أجناد الحلقة.

أ / **المماليك السلطانية:** سموا كذلك لأن السلطان القائم كان يجلبهم فعرفوا باسم "الأجلاب"، أو "الجلبان" وكذلك "الأحداث"[2]، وصفهم القلقشندي بأنهم أعظم الأجناد شأناً، وأرفعهم قدراً، وأشدهم إلى السلطان قرباً وأوفرهم إقطاعاً، ومنهم تأمر الأمراء رتبة بعد رتبة[3]، وتراوحت عدة المماليك السلطانية زمن السلطان الظاهر بيبرس ما يقارب الستة عشر ألف مملوك[4]، وتضم هذه الفرقة ثلاث طوائف:

**الطائفة الأولى:** تعرف بالمماليك الخاصكية ، وتحتل المرتبة الأولى لأنهم مماليك السلطان القائم على العرش كانوا بحوزته قبل أن يتولى الحكم، وعنهم يقول ابن شاهين الظاهري : «وأما الخاصكية فهم الذين يلازمون السلطان في خلواته ويسوقون المحمل الشريف ويتعينون بكوامل الكفّال ويجهزون في المهمات الشريفة والمتعينون للإمرة والمتقربون في المملكة»[5]، وكلمة خاصكية تطلق على الأمراء الصغار والكبار على اختلاف مراتبهم[6]، فهم يمتازون عن باقي طوائف المماليك السلطانية، كونهم ملازمون للسلطان بشكل دائم لدرجة أنهم يدخلون عليه من غير إذن هذا من جهة، ومن جهة أخرى كانوا يرشحون قبل غيرهم للإمارة[7]، حسب ما

---

[1] العريني، المماليك، ص 159.

[2] فهيم، مرجع سابق، ص93. فايد، مرجع سابق، ص 16.

[3] القلقشندي، صبح الأعشى ج4، مصدر سابق، ص 15 . 16.

[4] ابن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تصحيح: بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس، 1892 أو 1893،ص، 116 ، العريني، المماليك، ص 163.

[5] ابن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك، 115. 116.

[6] فهيم، المرجع السابق، ص 96.

[7] فهيم، المرجع السابق، ص97 ، فايد، مرجع سابق، ص 16. وللإطلاع أكثر حول مميزات هذه الطائفة ومكانتها بين الفرق الأخرى في الجيش المملوكي، ينظر فهيم، مرجع سابق، ص ص 96، 101.

قال ابن شاهين، وبلغ عددهم في أيام الناصر محمد بن قلاوون أربعين خاصكياً، ثم ارتفعت عدتهم بعد ذلك إلى نحو ألف خاصكياً في زمن السلطان أشرف برسباي[1].

**أما الطائفة الثانية:** فتسمى بالمماليك القرانصة أو القرانيص وانفرد ابن شاهين بتسميتهم باسم الوغالر دون أن يشرح معناها [2]، وهم من قدماء المماليك الذين كان يجلبهم السلاطين السابقين كانت لهم سجلات خاصة بديوان الجيش وتصرف لهم الرواتب وهم أقل منزلة من المماليك السلطانية، وعنهم يقول ابن شاهين: « وأما الأجناد القرانيص فهم القديمون الهَجرة الموصولون بالديوان الشريف أصحاب الأرزاق الثقال المتعينون إلى الإمرة يكونون في منزلة أمراء الخمسوات كان عدتهم قديما مائة نفر وأما الآن فدون ذلك»[3].

**أما الطائفة الثالثة:** فتعرف بالمماليك السيفية وهم: « المنسوبون إلى الأمراء المتقدمين وقد نقلوا بالديوان الشريف»[4]، بمعنى أنهم مماليك الأمراء الذين نقلوا إلى خدمة السلطان بسبب موت سيدهم أو نفيه أو طرده ومصادرة مماليكه[5]، وبذلك كانوا يفتقرون إلى عامل الوفاء

---

[1]ابن شاهين، مصدر سابق، ص 116.الأشرف بارسباي: هو السلطان الأشرف سيف الدين أبو النصر برسباي ، الملك الثاني عشر في دولة المماليك الجراكسة، حكم لمدة ستة عشر سنة وتسع شهور من 825هـ – 841هـ/ 1422 – 1437.المقريزي، الخطط، ج3، 425، شبارو، السلاطين في المشرق: المماليك، ، ص ملحق رقم 12، ص 213.

[2]ذكر ناشر كتاب الظاهري أن اللفظة منغولية منقولة إلى العربية دون أن يحدد معناها، العمايرة، المعجم العسكري، ص 375.

[3] ابن شاهين، المصدر السابق، ص 115، فايد، مرجع سابق، ص 16، للإستزادة أكثر حول هذه الفرقة ينظر فهيم، مرجع سابق، ص ص 101، 105.

[4] ابن شاهين، مصدر سابق، ص 116.

[5]السيد الباز العريني، الإقطاع الحربي في مصر زمن سلاطين المماليك، د . ط، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1956، ص3.

الذي يوحدهم، ومن الطبيعي أن تنشر بينهم اللامبالاة تجاه بعضهم البعض« ولم يكن منهم من يرتبط بسلطان معين أو اكترث أحدهم بالسلطان بعينه»[1].

وبشكل عام تشكل المماليك السلطانية العمود الفقري للجيش في زمن دولة المماليك البحرية، ولم يقل عددهم في زمن هذه الدولة عن عشرة آلاف جندي، في حين لم يزد عددهم عن هذا الرقم في زمن دولة المماليك الجراكسة، وذلك راجع للامتيازات التي يتمتعون بها مقارنة بغيرهم من الجند، فأغلبهم يتربى في الطباق ويتلقى التعليم الديني والحربي، فضلاً عن قربهم من السلطان وتمتعهم بالإقطاعات الوافرة ومنهم يتعين الأمراء على اختلاف مراتبهم[2]. وما هو جدير بالإشارة أن فرقة المماليك السلطانية لم تكن موجودة بالجيش المملوكي في الشام لأنها لا توجد إلا بحضرة السلطان[3] .

**ب/ أجناد الحلقة:** ورد في المعجم العسكري المملوكي بأنه هناك اختلاف في أصل مصطلح الحلقة وتفسيره، فهذه الكلمة إما تطلق للدلالة على الجنود الذين يشكلون حلقة لحماية السلطان، وإما تعني الإحاطة بالعدو،أي أنها متعلقة بالتكتيكات الحربية التي تستخدمها هذه الفرقة في الهجوم[4].

و هذا التنظيم استخدم في الجيش إبان العهد الأيوبي ثم انتقل هذا المصطلح إلى عصر المماليك وهو يطلق « على فرقة خاصة ينشئها السلطان دون مماليكه ومماليك الأمراء ولا

---

[1]فهيم، ص 103،نشير إلى أن أرتور إسرائيليان إنفرد في أطروحته بإضافة فرقة رابعة ضمن المماليك السلطانية سماها المماليك الخاصة أو الخشداش، وهم في الحقيقة المماليك الذين تربوا عند سيد واحد وكانت تربطهم فيما بينهم علاقة الزمالة التي تعرف بالخشداشية مثلما سبقت الإشارة إلى ذلك. إسرائيليان، مرجع سابق، ص 83.

[2] العريني، الإقطاع،ص4.

[3]العريني، المماليك، ص 165.ويمكن الإطلاع على التركيب التنظيمي للجند السلطانية في العصر الملوكي البحري في آخر هذا البحث، الملحق رقم3، ص125.

[4]فهيم، مرجع سابق، ص 106.

تتغير بتغير السلطان وضمت عناصر بشرية متباينة الأصول والمنابت...» [1]، وبالتالي هم جيش الدولة الدائم الذي لا يتغير مهما تغير السلطان، ويشير العريني بأنهم من الأحرار وليسو مماليك[2]، وتتكون هذه الفرقة أيضاً من محترفي الجندية من مماليك السلاطين السابقين وأولادهم وهم أشبه بفرق الجيش الحديثة، ومع مرور الوقت ازدادت أعداد هذه الفرقة من خلال انضمام بعض العناصر إليها من التتار الوافدية[3] وأولاد الناس [4]، ويشير القلقشندي إلى احتمال دخول عناصر إلى هذه الفرقة من ليس لهم صفة الجند، وبشكل عام فإن هذه الفرقة شكلت قلب الجيش المملوكي، وبلغت عدتهم حسب ابن شاهين أربعة وعشرين ألف جنديا ولم يحدد الفترة الزمنية بالضبط [5] .

**ج/ أجناد الأمراء:** يقصد بهم مماليك الأمراء التابعين إلى أمرائهم بشكل مباشر، يتلقون الأوامر منهم وليس من السلطان كما هو الحال بشأن المماليك السلطانية وأجناد الحلقة، فهم مسجلون في ديوان الجيش تحت اسم أميرهم ولا يحق للجندي أو الأمير تغيير تبعيته إلا بأمر سلطاني عن طريق الديوان[6]، ولعل الذي يدل على أهمية هذه الفرقة في الجيش المملوكي ما

---

[1]العمايرة ، مرجع سابق، ص 105.

[2]العريني، الإقطاع، ص4.

[3]الوافدية: مصطلح أطلق في العصر المملوكي على المغول والترك الذين هاجروا إلى مصر طوعاً أو كرهاً وانخرطوا في الجيش خلال دولة المماليك الأولى (البحرية)، العمايرة، المرجع السابق، ص 361. أما أولاد الناس: فهو مصطلح أطلق على أولاد السلاطين والأمراء الذين ولدوا أحراراً في مصر ولم يجر عليهم الرق فقد عاشوا في بيوت الإمارة والنعمة وليس الطباق حيث التربية الحربية الخشنة، ودخلوا في فرقة أجناد الحلقة، وهم يمثلون الفرقة الاحتياطية التي لا تستدعى إلا في حالة الحرب للقتال، ويكونون تحت تصرف السلطان في حالة الطوارئ.العريني، المماليك، ص164، العمايرة، ص 53، فايد، مرجع سابق، ص 17، إسرائيليان، مرجع سابق، ص78.

[4]جاسم محمد جاسم،"الجيش وتطوره في العصر المملوكي خلال الفترة 648 . 923هـ/ 1259. 1517م"، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية،مج 14، العدد 6، العراق، 2007، ص172.

[5]العمايرة، مرجع سابق،ص 17، القلقشندي،صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج4، ص 16، ابن شاهين، مصدر سابق، ص116 ، وللإطلاع أكثر عن هذه الفرقة ينظر فهيم، مرجع سابق، ص ص 105– 121.

[6]فهيم، المرجع السابق، ص43.

قاله المقريزي«إن مقام الأمراء بمماليكهم»[1]، وكان عدد جيش الأمير يتوقف على الحالة المادية لهذا الأمير أو ذاك[2]، كما كانوا مدعاة فخر بالنسبة لأميرهم الذي كانوا عونا له في المهمات العسكرية وكذلك في الأوقات العصيبة[3] ومن مجموع هؤلاء الأمراء وأجنادهم وأتباعهم تشكلت الكتائب الحربية التي سارت تحت قيادة الأمراء والسلاطين[4] .

**3– الجانب الإداري للجيش المملوكي:** نتناول في هذا الجانب الإقطاع الحربي والرواتب (الجوامك)، وأهم الدواوين العسكرية والبيوت (الخانات)، كما ندرس الوظائف (الرتب) العسكرية لدى جيش المماليك البحرية.

**أ/ الإقطاع والرواتب:**

**أ–1 الإقطاع:**

حسب ما جاء في المعجم العسكري المملوكي فإن الإقطاع:« من المصطلحات الشائعة في النظم العسكرية الإسلامية في العصور الوسطى، يدل على ما حازه القادة والجنود من مخصصات لقاء أعمالهم الحربية، وجاء المصطلح ليدل على ما يقتطعه ولي الأمر من سلطان ونحوه لنفسه، أو يمنحه لغيره من أرض أو أي نوع من الأموال غير المنقولة، وتسمى الأرض الممنوحة هنا قطيعة وجمعها قطائع أو إقطاعات »[5] .

---

(1) المقريزي، السلوك، ج 2، نقلا عن علي إبراهيم حسن، دراسات في تاريخ المماليك البحرية، د . ط، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1944، ص 300، إسرائيليان، مرجع سابق، ص86، فايد، مرجع سابق، ص17.

(2)إسرائيليان، المرجع السابق، ص86.

(3)جاسم، الجيش وتطوره،ص172.

(4) فايد، مرجع سابق،ص 17.

(5) العمايرة، مرجع سابق،ص 30.

كما يطلق على الإقطاع مصطلح الخبز وجمعها أخباز وهو مشتق في اللغات الأوروبية من اللاتينية "pains"، ويعني إقطاع من الأرض، وكذلك أطلق المصطلح على ما يحصل عليه الجندي من راتب (عطاء) عيني أو نقدي، وما يكفيه ويكفي الفرسان الذين في خدمته[1].

**و** يصف سعيد عبد الفتاح عاشور دولة السلاطين المماليك في مصر وبلاد الشام بأنها دولة إقطاعية حربية[2]، نظراً لارتباط الجيش المملوكي بالنظام الإقطاعي، إذ يعتبر الإقطاع هو العنصر المميز في المؤسسة العسكرية المملوكية[3]،كما أن المماليك نشئوا في ظل هذا النظام منذ زمن الأيوبيين[4]، ومثلما سبقت الإشارة فإن نظم الحكم في دولة سلاطين المماليك هي نتاج لأنظمة الحكم لدى سابقيهم من السلاجقة والأيوبيين، فضلاً عن نظم الفاطميين[5]، وفي عهد المماليك اكتملت النظم الإقطاعية الحربية في الشرق الأوسط[6]، وكان هذا النظام المورد الأول والأساسي والأهم للدولة لأنه المصدر الدائم اللازم للإنفاق على الجيش السلطاني و جيوش كبار الأمراء، بالإضافة إلى نفقات الجيش المملوكي في أوقات الحرب[7] .

وفي ظل هذا النظام اعتبرت الأرض ملكا للسلطان وجنوده وذلك ما أشار إليه المقريزي حيث قال:« ...منذ كانت أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى يومنا هذا فإن

---

[1]نفس المرجع، ص 112، دهمان،مرجع سابق، ص 66.

[2] عاشور، مصر والشام، ص 284.

[3] فهيم، مرجع سابق، ص53.

[4] إبراهيم علي طرخان، النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى،د– ط، دار الكتاب العربي، مصر، 1968م، ص63، الجزار، مرجع سابق،ص 75.

[5]العريني، المماليك، ص165.

[6]طرخان،مرجع سابق، ص 63. فهيم، المرجع سابق، ص 56، وتجدر الإشارة إلى أن محمود فهيم يعارض فكرة تتعلق بأن السلاجقة هم الذين أدخلوا النظام الإقطاعي للعالم الإسلامي، ويشير بأن عماد الدين الأصفهاني هو صاحب هذه الفكرة وعنه نقل سائر المؤرخون، وقد أعطى المؤلف حججه وبراهينه التي يدعم بها رأيه المخالف لفكرة الأصفهاني، وللاستزادة أكثر ينظر فهيم، المرجع السابق، ص ص 55– 56.

[7] عبد الله سعيد محمد الغامدي، جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين، أطروحة دكتوراه، إشراف: محمد حمدي المناوي، جامعة أم القرى، المدينة المنورة، 1985م، ص 307.العمايرة، مرجع سابق، ص 30.

أراضي مصر [وبلاد الشام] كلها صارت تقطع للسلطان وأمرائه وأجناده»[1]، يتصرفون فيها كيف يشاءون[2].

وحسب ما جاء في معجم الألفاظ التاريخية للعصر المملوكي فإن الإقطاع: « في العرف المملوكي والدول الإسلامية جميعاً كان أمراً شخصياً بحتاً لا دخل لحقوق الملكية أو لأحكام الوراثة فيه، فكان المُقْطِعُ يحل في الإقطاع محل السلطان ليتمتع بغلاته وإيراداته فحسب، ثم يؤول جميعه إلى السلطان بمجرد انتهاء مدة الإقطاع أو لوفاته أو بسبب إخلال المقطع بشروط العقد القائم، سواء في ذلك ما يسمى بإقطاع التمليك، وهو الإقطاع العادي أو إقطاع الاستقلال [المقصود إقطاع الاستغلال[3]] وهو إقطاع شخص خراج جهة معينة » [4]. وبالتالي فالإقطاع هو مصدر دخل سنوي للأمير أو الجندي بما يعادل رتبته الحربية، يحصل عليه من السلطان وديوان الجيش.

وسار السلاطين المماليك الأوائل على إتباع القاعدة المعتمدة من قبل زمن الأيوبيين في توريث الإقطاع لأبناء الجند تشجيعاً لهم على استخلاف آبائهم في الجندية من جهة، ومن جهة أخرى للإبقاء على جيش قوي لتمكين سلطانهم في البلاد ومواجهة أخطار أعدائهم من الأيوبيين والتتار والصليبيين في بلاد الشام[5]، ومع مرور الزمن تخلى السلاطين عن قاعدة التوريث ولجئوا إلى ما يعرف بالروك[6] لإعادة توزيع الأراضي بين السلطان وأرباب الإقطاع،

---

[1]المقريزي، الخطط، ج 1، ص 97.

[2] القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص51.

[3]العريني، الإقطاع، ص 13.

[4]دهمان، معجم الألفاظ، ص 21.

[5] العريني، الإقطاع، ص ص 13. 14.

[6]الروك: كلمة قبطية أصلها (روش) ومعناها الحبل ، ثم استعملت للدلالة على عملية قياس الأرض بالحبل ، وهي بدورها مشتقة من اللفظ الديموطيقي (روخ) ومعناها تقسيم الأرض، وهي بذلك يقصد بها إعادة النظر من طرف السلطان أو ولي الأمر في توزيع الإقطاع بشكل شامل، فيقوم بمسح الأراضي لحصرها، وتقدير درجة خصوبتها لربط خراج مناسب عليها، وإعادة إقطاعها، والروك ليس من ابتكارات النظام الإقطاعي المملوكي بل هو قديم عرفته مصر=

وذلك رغبة منهم في ضبط الإقطاعات وعدم استمرار أراضي معينة في إقطاع معين، وعدم إبقاء الإقطاعات في أيدي الوارثين[1].

وأعطى المقريزي فكرة حول الكيفية التي كانت تقسم بها الأراضي في زمن المماليك[2] بشكل عام، فقال:« وأرض مصر اليوم على سبعة أقسام قسم يجري في ديوان السلطان وهذا القسم ثلاثة أقسام منه ما يجري في ديوان الخاص ومنه ما يجري في الديوان المفرد وقسم من أراضي مصر قد أقطع للأمراء والأجناد...وقسم جعل وقفا على الجوامع و المدارس و الخوانك وعلى جهات البر وعلى ذراري واقفي تلك الأراضي وعتقائهم وقسم رابع يقال له الأحباس يجري فيه أرض بأيدي قوم يأكلونها إما عن قيامهم بمصالح مسجد أو جامع أو ما يكون لهم لا في مقابله عمل، وقسم خامس قد صار ملكا يباع ويشترى ويورث ويوهب لكونه اشتري من بيت المال، وقسم سادس لا يزرع للعجز عن زراعته فترعاه المواشي أو ينبت الحطب ونحوه، وقسم سابع لا يشمله ماء النيل فهو قفر...» [3].

وقسمت أراضي مصر إلى أربعة وعشرين قيراطاً أو قسماً، فكان للسلطان أربعة قراريط للكلف والرواتب وغيرها، وللأمراء عشرة قراريط «برسم الإطلاقات و الزيادات »على قول المقريزي أي المنح، والعشرة الباقية فهي لأجناد الحلقة[4]، وكانت الأراضي المقطعة ثلاث درجات من حيث خصوبة التربة، والري وكذلك وفرة الإنتاج، وأشار القلقشندي إلى أن «البلاد النفيسة الكثيرة المتحصل» هي من نصيب السلطان وأمرائه حسب منازلهم ومنهم من

---

=وبلاد الشام منذ فجر الإسلام، طرخان، مرجع سابق، ص ص95 . 96، و للإطلاع أكثر عن عمليات الروك التي عرفتها مصر إبان العهد المملوكي وتفاصيلها ينظر إسرائيليان، مرجع سابق، ص ص 98– 101، فهيم، مرجع سابق، ص ص58– 62، طرخان، مرجع سابق، ص ص 96– 106.

(1) العريني، الإقطاع، ص 14.

(2) موجاني،مرجع سابق، ص105.

(3) المقريزي، الخطط،ج1، ص 97.

(4) المقريزي، السلوك،ج2، ص ص 289 . 290، إسرائيليان، مرجع سابق، ص 98، طرخان، مرجع سابق، ص 64.

يجتمع نحو العشرة بلاد منها، والأراضي متوسطة الجودة فتقطع للمماليك السلطانية يشترك اثنان فما فوقهما في البلدة الواحدة، وربما ينفرد الواحد بالبلدة كلها، وما دون ذلك فيقطع لأجناد الحلقة والعربان و ملتزمي خيل البريد وغيرهم، تجتمع الجماعة منهم في البلد الواحد بحسب مقداره وحال مقطعيه [1].

وكان السلاطين المماليك يقومون بتوزيع أراضي الإقطاع، على المماليك الملحقين بالخدمة العسكرية[2]، أما عن الكيفية التي يصبح فيها الإقطاع أو الخبز ملكاً شرعياً خاصاً بالجندي الجديد فإنه يمر بمجموعة من الإجراءات الإدارية، ففي البداية إذا قدم الراغب في الإقطاع أو اختاره السلطان، يؤمر ناظر الجيش بالكتابة فيكتب ورقة تسمى"المثال" [3]، فتعتبر أول ما يُكتب من الأوراق الرسمية التي تثبت منح أحد المماليك إقطاعاً من الإقطاعات، ثم تذهب إلى ديوان النظر لتسجيل المثال وحفظه فيه،ويكتب بذلك ما يسمى في اصطلاح العصر المملوكي باسم "مربعة" وهي عبارة عن ورقة مربعة الشكل، يُكتب فيها اسم المعيَّن على الإقطاع ورتبته وعدد أجناده وغيرها من المعلومات المفصلة اللازمة، ثم ترسل المربعة إلى ديوان الإنشاء فيحولها كاتب السر على من يكتب بها منشور الإقطاع، وذلك عن طريق ما يسمى بالمدراء [4]، وهذا الإجراء هو آخر الإجراءات التي يمر بها المثال ليصبح الإقطاع ملكاً شرعياً على المقطَع الجديد [5].

---

[1] القلقشندى، صبح الأعشى، ج3،ص 525، طرخان، مرجع سابق،ص ص 64 . 65.

[2] إسرائيليان، مرجع سابق، ص98.

[3] المثال: هو وثيقة رسمية تصدر من ديوان الخراج إلى كل جندي أو مملوك، تبين مقدار ما خصه من الأرض الزراعية التي يشغلها، وحدودها واسم الإقليم والقرية والحوض الكائنة فيها، فهيم، مرجع سابق، ص57.

[4] مدراء: أومدارا جمع مدير وهي طائفة من الأعوان بديوان الإنشاء مهمتهم تسجيل الأمكنة وإدارتها على كتاب يدون من كتاب الديوان، القلقشندي، مصدر سابق،ج 4،ص52. فهيم، مرجع سابق، هامش رقم 4 ،ص 57.

[5] إسرائيليان، المرجع السابق، ص 98، فهيم، المرجع السابق، ص 57.

**أ –2 الرواتب (الجوامك):**

من بين الأرزاق التي يحصل عليها الأمير أو الجندي في أوقات معينة إضافة إلى الإقطاع؛ هناك أنواع مختلفة من النفقات والرواتب يتقاضاها، ومنها الجاميكة وجمعها جوامك وهي الراتب الشهري الذي يصرف للمماليك السلطانية [1]، وهذا الراتب قد يكون نقداً أوعيناً، ونجد العمري أعطى مقدار ما تتقاضاه فرق الجيش المملوكي على اختلاف طبقاتهم ورتبهم بالدينار الجيشي، ومن ذلك نذكر على سبيل المثال لا الحصر: « ويبلغ أقطاع بعض أكابر الأمراء ... المقربين من السلطان مائتي ألف دينار حبشية[ والأصح جيشية كما ورد في مختلف المصادر] وربما زادت على ذلك، وأما غيرهم فدون ذلك ...إلى ثمانين ألف دينار، وما حولها. وأما الطبلخانات [سنأتي على شرح معناها لاحقاً] فتبلغ الثلاثين ألف دينار...وأما أقطاعات جند الحلقة فمنه ما يبلغ ألف وخمسمائة دينار...»[2].

وتمنح هذه النفقات والرواتب في أوقات غير منتظمة وفي مناسبات مختلفة لاستمالة القلوب، لاسيما غداة إنفاذ الجيوش وتسيير الحملات الحربية، وكذلك عند تولية السلطان منصب السلطنة ومن ذلك نذكر على سبيل المثال عندما تولى السلطان الناصر محمد بن قلاوون [3]الحكم في المرة الأولى سنة 693هـ . 694هـ/1293م . 1294م، أنفق على العساكر، ولما عاد إلى المنصب في المرة الثانية أجرى عليهم الرواتب مرة أخرى سنة 698هـ.708هـ/1293. 1309م[4]، إذ يشير بيبرس المنصوري أنه أنفق في الشهر الذي تولى فيه السلطنة ( الحادي عشر من جمادى الأولى )على العساكر نفقة عامة «كانت جملتها من الذهب المصري

---

[1] العريني، المماليك، ص ص 200 . 201.

[2] العمري، مسالك الأبصار، ج3،ص430.

[3] هو السلطان الناصر ناصر الدين ابن السلطان المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي تولى الحكم ثلاثة مرات،المرة الثالثة كانت من سنة 709هـ إلى 741هـ/1309 . 1343م، بيبرس المنصوري، مختار الأخبار، ص98، العبادي، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص 224.

[4] العريني، المماليك، ص 201.

أربعمائة ألف دينار»[1]، وإذا وُلد لأحد الأمراء ولد مُنح دنانير ولحماً وخبزاً وعليق إلى أن يتأهل للإقطاع في جملة الحلقة [2]، و بعض هذه الرواتب والجوامك كانت توزع في الغالب سنوياً، وربما تصرف على دفعتين في السنة للصيف والشتاء[3].

كما أن هذه النفقات قد تكون أيضاً في شكل عيني وفي ذلك يقول القلقشندي« ولجميع الأمراء بحضرة السلطان الرواتب الجارية في كل يوم: من اللحم، والتوابل، والخبز، والعليق، والزيت؛ ولأعيانهم الكسوة و الشمع؛ وكذلك المماليك السلطانية وذوو الوظائف من الجند مع تفاوت مقادير ذلك بحسب مراتبهم وخصوصيته عند السلطان وقربهم إليه»[4]، فضلاً عن أضاحي العيد وما تقدمه الحواصل السلطانية للخواص من الأمراء بمصر الشمع والسكر والحلوى في رمضان، كما يوزع السلطان على أمرائه الملابس والخيول مرتين في السنة[5].

وهنا تجدر الإشارة إلى ملابس الجند وزيهم إذ حرص السلاطين على ملابس الجيش مثل حرصهم على الإقطاعات والجوامك، وقدم لنا المقريزي وصفاً كاملاً لملابسهم سواء في الصيف أو الشتاء، كما أشار إلى تعديل السلاطين تلك الملابس إلى ما هو أحسن وأكثر جمالاً[6].

---

(1) بيبرس المنصوري،المصدر السابق ، ص110.

(2) العمري،مسالك الأبصار، ج3،ص 431، القلقشندي، مصدر سابق، ج4، ص 53.

(3) العريني، المماليك، ص 202.

(4) القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص ص 52 ـ 53، العمري، المصدر السابق، ج3، ص 431.

(5) العمري، المصدر السابق،ج3، ص431، العريني، المماليك،ص 203.

(6) للإطلاع أكثر حول أوصاف الملابس المملوكية ينظر المقريزي،الخطط، ج 3، ص ص179. 180، العريني، المماليك، ص ص 223 ـ 224، الجزار، مرجع سابق، ص ص 66،70.وكتاب ل.أ ماير، الملابس المملوكية، تر: صالح الشيتي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1972م.

**ب . الدواوين[1] العسكرية و الخانات (البيوت):**

**ب . 1 الدواوين:**

وُجدت في مصر المملوكية العديد من الدواوين إلا أننا سنقتصر على دراسة ثلاثة دواوين فقط، باعتبارها الدواوين الرئيسية المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بنظام الجيش المملوكي وهي: ديوان الجيش، وديوان النظر، وديوان الجهاد، و كان مقر هذه الدواوين بقلعة الجبل[2].

**أ . ديوان الجيش:** وهو المركز الرئيسي المشرف على شؤون الجند والمهيمن عليها[3]، وعن أهمية هذا الديوان يقول خليل ابن شاهين الظاهري: « إن من فراسة المملكة وسياقة الدولة ضبط أمور الجيش وحفظ أحوال الجند فإنه قطب مدارها، وسبب استقرارها، فيتعين الاغتناء به والنظر في مصالح كتابه فأنه شأنه أرفع، وديوانه أجمع، وعلمه أوسع، لا سيّما في دولة فسيحة الأطراف، واسعة الأكناف، قد دلت جريدة جيشها على الآلاف، فتحتاج إلى ترتيب منازلها على قدر طبقاتهم، وضبط مقادير إقطاعاتهم ونفقاتهم، ورعاية مبادى مددهم وأوقاتهم »[4].

ويعتبره القلقشندي بأنه مظِنّة الإقطاعات دون ديوان الإنشاء، إذ أن ما يُكتب في هذا الأخير هو فرع ما يكتب في ديوان الجيش[5]، ومن هنا تتبين لنا أهمية هذا الديوان إذ أنه يشرف كذلك على إقطاعات السلاطين وأولادهم، وفيه تضبط الأوراق الخاصة بأسماء

---

[1] الدواوين: مفردها ديوان لفظ فارسي مُعرَّب، والديوان مجتمع الصحف وهو الدفتر الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء، وأول من دوّن الدواوين في الإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ابن منظور، لسان العرب، دون تحقيق، ط3، ج13، دار صادر، بيروت/ لبنان، 1995م، ص166.

[2] إسرائيليان، فن الحرب، ص106.

[3] إبراهيم حسن،دراسات في تارخ المماليك البحرية، ص 296.

[4] ابن شاهين،زبدة كشف الممالك، مصدر سابق، ص 103.

[5] القلقشندي، صبح الأعشى،ج 13، ص 159.

الجنود والأمراء[1]، وأخبارهم المفصلة فلم يكن يُسمح للجندي بالانتقال من خدمة أمير إلى آخر إلا بإذن من السلطان ، وبعد صدور مرسوم خاص من ديوان الجيش[2]، فيقول القلقشندي: « ومن قاعدة هذه المملكة أن أجناد الأمراء كافة تعرض بديوان الجيوش السلطانية وتثبت أسماؤهم مفصلة فيه ...ثم كلما مات واحد منهم أو فصل من الخدمة عرض بديوان الجيش واحد مكانه يعبر فيه عرض من ديوان ذلك الأمير . »[3]، وينقسم هذا الديوان إلى قسمين: قسم خاص بالديار المصرية، وقسم أخر خاص ببلاد الشام ويعرف بديوان الجيش الشامي[4] .

**ب . ديوان النظر:**

ويُعرف أيضا ببيت المال، وهو يشبه وزارة المالية اليوم[5]، ويقول عنه المقريزي: « ديوان النظر: وهي وضيفة جليلة تلي نظر الدولة..[و] هو أرفع دواوين المال، وفيه تثبت التواقيع والمراسيم السلطانية، وكل ديوان من دواوين المال إنما هو فرع من هذا الديوان، وإليه يرفع حسابه وتتناهى أسبابه، وإليه يرجع أمر الاستيمار الذي يشتمل على أرزاق ذوي الأقلام وغيرهم.»[6] ، وإليه يرجع أمر توزيع الرواتب العسكرية[7].

**ج . ديوان الجهاد:**

ويسمى أيضاً ديوان العمائر، وفيه يتم إنشاء مراكب الأسطول الحاملة للغلات السلطانية و الأحطاب وغيرها، ومنه يتم الإنفاق على رؤساء المراكب ورجالهم، وإذا

---

(1) إبراهيم حسن، دراسات في تاريخ المماليك،ص 296.

(2) إسرائيليان،فن الحرب، ص 107، إبراهيم حسن، ص 296.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى،ج 4، ص ص 63. 64.

(4) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص 103.

(5) إسرائيليان، مرجع سابق، ص 107، إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص 288.

(6) المقريزي، الخطط، ج3، ص390.

(7) إسرائيليان، المرجع السابق،ص 107.

لم يغط ما يحتاجونه من أموال، طلب لهم ذلك من بيت المال[1].

**ب. 2 الخانات أو البيوت:**

قام سلاطين المماليك بتنظيم الشؤون الإدارية لدولتهم بإحكام، فقاموا باستحداث العديد من البيوت أو الخانات كما تسمى عندهم، فجعلوا لكل واحدة من الحواصل السلطانية بيت أو خاناه خاص مثل الشراب خانه، أو الطشت خاناه[2]، وأحصى القلقشندي ثمانية بيوت فقط، إلا أن عددها قد يتجاوز ذلك، وسنقتصر فقط على شرح الخانات المرتبطة بنظام بالجيش المملوكي وهي: السلاح خاناه، والركاب خاناه، والطبلخاناه، الإسطبلات، ومركز الحمام والرسائل.

**أ/ السلاح خاناه:** وتعني بيت السلاح، وقد تعني كذلك الزرد خاناه ومعناه بيت الزرد لما فيه من الدروع الزِّرد[3]، وهذا البيت حسب ما ذكره النويري من أعظم البيوت وأهمها، يشرف عليه موظف يسمى أمير سلاح[4]، فهو الذي يتحدث عن السلاح دارية ، ويناول السلطان آلة الحرب والسلاح في يوم القتال وغيره[5] ومن مهامه أيضاً: حفظ وضبط ما يدخل ويخرج من أنواع الأسلحة التي يتسلمها أصحابها من السلاح داريّة والزردكشيّة [6]، الحِرَب داريّة والرمح داريّة، إذا ركب السلطان أو جلس في المجلس العام،

---

(1) القلقشندي، المصدر السابق، ج3، ص 569.

(2) الخاناه: لفظ فارسي معناه البيت ويعني بيت كذا، إلا أنهم يؤخرون المضاف عن المضاف إليه حسب عادة العجم، فالشراب خاناه تعني بيت الشراب الذي يحوي مختلف الأشربة الخاصة بالسلطان، والطشت خاناه معناه: بيت الطشت أي البيت الذي تغسل فيه الأيدي والطشت الذي يغسل فيه القماش القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص ص 8 . 9.

(3) القلقشندي، المصدر السابق،ج4، ص11.

(4) النويري، نهاية الأرب، ، ج 8، ص 227.

(5) ابن تغري بردي ،النجوم الزاهرة، ج7، ص 184.

(6) الزردكشيّة: لفظة أعجمية مفردها الزرد كاش كان معناها صانع الزرد و يعني صانع السلاح الذي يقيم بالسلاح خاناه، القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص11.

فهو الذي يسلمها لهم ويستعيدها منهم، كما عليه تفقد العُدد التي يُخشى عليها التلف مع تقادم الزمن ، ويأمر بإصلاحها سواء بالمسح أو الشحذ أو الصقل...إلخ، « ويوصل ما يصل إلى السلاح خاناه من خزائن السلاح وغيرها، وما يصل إليه من سيوف الأمراء الذين يرسم [ بمعنى يؤمر] باعتقالهم، وما يحمل إليه من سلاح من توفى من الأمراء على جاري العادة. ويميز ذلك من غيره »[1].

ويحتوي السلاح خاناه على كل أنواع الأسلحة من السيوف والقسي والرماح ...وغيرها، ويوجد به من الصناع المقيمين هناك لإصلاح العُدد، وتجديد المستعملة منها جماعة كبيرة، فضلاً عن الغلمان والفرّاشون لخدمة القماش وافتقاده[2]، ووصفه ابن شاهين بقوله: « وأما السلاح خاناه فهي عجيبة من العجائب بها من جميع آلات السلاح من كل نوع يطلب وبها صناع كل صنف يعملون لا يبطل منه أحد وأوصافها كثيرة اختصرتها خوف الإطالة»[3]، ويُفهم من كلام ابن شاهين أن أسلحة الجيش المملوكي متنوعة ومتعددة، من الخفيفة إلى الثقيلة، كما أن الدولة المملوكية كانت تصنع سلاحها بنفسها وإن لم يمنع ذلك من وجود الأسلحة المقتناة من البلاد المجاورة [4].

ولعل من بين الأسلحة التي كانت حكراً على جيش المماليك وتصنع بشكل كبير في الدولة التركية الأولى مكاحل البارود[5]، التي استخدمت لأول مرة أثناء معركة المنصورة

---

[1] النويري، نهاية الأرب، ج8، ص ص 227 . 228.

[2] القلقشندي،مصدر السابق ، ج4، ص11.

[3] ابن شاهين، زبدة الفكرة، ص122.

[4]للإطلاع أكثر حول أنواع الأسلحة المملوكية وتفاصيل ذلك ينظر: القلقشندي، المصدر السابق، ج3، ص ص 547، 548،الجزار، مرجع سابق،ص ص 126 - 129، إسرائيليان، فن الحرب، ص ص 121- 158.

[5] مكاحل البارود: وهي حسبما عرفها القلقشندي« المدافع التي يرمى عنها بالنفط؛ وحالها مختلف: فبعضها يرمى عنه بأسهم عظام تكاد تخرق الحجر، وبعضها يرمى عنه ببندق من حديد بزنة عشرة أرطال بالمصري إلى ما يزيد على مائة رطل»، القلقشندي، المصدر السابق، ج2، ص153.

ووصفها بدقة المؤرخ الفرنسي جوانفيل[1] Jean Joinville الذي عاصر الحملة الصليبية السابعة على مصر، وشهد سقوط واحدة من القذائف النارية التي تطلق بواسطة مدافع البارود على جيش الصليبيين[2].وكانت متنوعة الأصناف وتصنع من الحديد والنحاس واستخدمت في تسليح السفن وتحصين القلاع والأبراج[3].

**ب/ الركاب خاناه:** ويعني بيت الركاب وفيه توضع كل المعدات المتعلقة بالخيول من السروج وللجم والكنابيش وغيرها، وذكر ابن شاهين أنها تحوي ما مقداره ثلاثة آلاف قطعة مختلفة الأسماء والألوان[4]، وقد وصفها القلقشندي بقوله: « وفيها من السروج المغشّاة بالذهب والفضة المطلية والساذجة والكنابيش[5] المتخذة من الذهب المزركش المزهرة بالريش، وغير المزهرة، والعبي[6] المتخذة من الحرير وصوف السهك[7] ، وغير ذلك من نفائس العدد والمراكيب ما يحير العقول ويدهش البصر، مما لايـقدر على مثله إلا عظماء الملوك[8] ويشرف على هذا البيت موظف يسمى مهتار يساعده مجموعة من

---

(1) جوانفيل Joinville كان قائدا فارساً بالحملة الصليبية السابعة على مصر فحارب المماليك الصالحية و وقع في الأسر عندهم، وكتب كتابا عنوانه ذكريات عن الحروب الصليبية، فهيم، مرجع سابق، ص ص 13، 176.

(2) للإطلاع على هذا الوصف بالتفصيل ينظر فهيم، الفن الحربي للجيش المصري في العصر الملوكي البحري، مرجع سابق، ص ص 175 . 180.

(3) فهيم، المرجع السابق، ص 181.

(4) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص 124.

(5)الكنابيش: مفردها كنبوش ويعني البرذعة التي توضع تحت سرج الفرس، ويعني كذلك غطاء للسيف، دهمان، مرجع سابق، ص131.

(6) العبي: لفظ مستعمل بالعامية لعل المقصود بها جمع عباءة، إسرائيليان، مرجع سابق، هامش رقم 2، ص 109.

(7) لا يوجد حيوان بهذا الإسم ولعل الكلمة مصحفة عن السمند: وهي كلمة فارسية وتعني أحد أسماء الخيل له لون بين السواد والصفرة، القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، هامش رقم 1، ص 12.ابن منظور، لسان العرب ، ط3، ج6، دار صادر، بيروت، 1993م ، ص153.

(8)القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص12.

الرجال[1].

**ج/الطبلخاناه:** ومعناه بيت الطبل يحتوي على الطبول والأبواق ولواحقها من الآلات[2]، التي تضرب كل مساء بعد صلاة العشاء أمام القصر السلطاني، ويبدو أنها كانت جزءً أساسياً من معدات الجيش المملوكي فهي تُسَّير مع الجيش لتحميه أثناء السير أو لتمييز أمراء الجيش[3]، واستخدمت أثناء الحروب كوسيلة اتصال تكتيكية بين الأمراء و الجند والوحدات الصغرى إذ من الممكن أن تصدر منها أصوات متفق عليها مثل: اهجم .. ترجل.. انطلق للهجوم..استخدم السهام...وغيرها[4].

**د/الإسطبلات:** توجد العديد من الإسطبلات ذكرها ابن شاهين ، وبها أنواع مختلفة من الخيول والجمال ومختلف أنواع الدواب التي يستخدمها الجيش المملوكي في الحروب[5].

**هـ/مراكز الحمام و الرسائل:** كان لحمام الرسائل مراكز مثلما كان للبريد[6]مراكز، وهناك أميال بين كل مركزي بريد، وكان كل مركز للحمام يقع بين ثلاثة مراكز من مراكز البريد، فلا يتعدى الحمام ذلك المركز ، وينقل الحمام ما على جناحه إلى طائر آخر إلى أن يحط

---

[1]نفس المصدر ، ص 12،ابن شاهين، مصدر سابق، ص124.

[2]القلقشندي، مصدر السابق، ج4، ص13.

[3]إسيرائيليان، فن الحرب، ص 109.

[4]فهيم، مرجع سابق، ص 155.

[5]ابن شاهين، مصدر سابق، ص ص 125 . 126.

[6] البريد: لفظة فارسية معرَّبة "بريده دم" وتعني مقصوص الذنب، ويعود سبب هذه التسمية لعادة كان يقوم بها ملوك الفرس تتمثل في أنهم إذا أقاموا بغلا في البريد قصوا ذنبه، فتكون بذلك علامة دالة على أنه من بغال البريد، فالبريد إذن موجود منذ عهد الأكاسرة الفرس والقياصرة الروم، و أول من وضع البريد في الإسلام معاوية بن أبي سفيان، القلقشندي، صبح الأعشى، مصدر سابق، ج14، ص ص 412 . 413.

بقلعة الجبل، فيأخذه البرّاج ويقرأ كاتب السر البطاقة، التي هي عبارة عن ورق صغير خفيف يُكتب فيه الخبر ليحمل على الحمام الأزرق[1].

ولعب جهاز البريد بشكل عام والحمام الزاجل بشكل خاص؛ دوراً بالغ الأهمية في الحروب التي خاضها جيش المماليك البحرية ضد المغول والصليبيين، وقد حظي هذا الجهاز باهتمام السلطان الظاهر بيبرس إلى درجة اعتبر فيها عصره أزهى عصور نظام البريد، إذ جعل منه إدارة مستقلة بذاتها، كانت همزة الوصل بين مركز القيادة بقلعة الجبل في القاهرة وسائر الولايات الأخرى[2]، ويتجلى دور البريد في نقل أخبار غارات العدو على حدود الدولة المملوكية، وخططه القتالية إلى مقر السلطة بالقاهرة، وهو ما أعطى للسلاطين حق المبادرة في مباغتة العدو أثناء المعارك ومن ثم تحقيق النصر بالإضافة إلى أدوار أخرى [3].

## ج . الرتب (الوظائف) العسكرية :

اقتصرت الوظائف العسكرية في دولة المماليك البحرية على من كان يسمى بأرباب السيوف، وهم كما يصفهم القلقشندي أعيان المملكة وأرباب الوظائف الذين بهم يكون انتظام المملكة وقيام الملك[4]، وكان السلطان هو رأس هؤلاء الأرباب فهو رئيس الدولة الأعلى وزعيم أمراء المماليك المسيطر على شؤونهم العامة والخاصة[5] وكانوا ينفذون

---

[1]المقريزي، الخطط، ج3،ص 368.

[2]أنور عوده الخالد، "دور نظام البريد في المعارك والفتوحات الحربية في العصر المملوكي البحري" ، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، دون عدد، مج 43، قسم التاريخ ، كلية الآداب، جامعة آل البيت، الأردن، 2016م، ص 317.

[3]نفس المرجع، ص 319، وبالإمكان الإطلاع على تفاصيل دقيقة بشأن هذه النقطة في نفس هذا المقال المذكور، ص ص 317. 323.

[4]القلقشندي، مصدر سابق، ج4، ص 14.

[5] فهيم، الفن الحربي، ص 73.

أوامره ويأتمرون بأمره، ومن بين هذه الوظائف الهامة هناك: نائب السلطان،أتابك العسكر، ناظر الجيش، صاحب ديوان الجيش،مستوفي الجيش، مستوفي الرزق، نقيب الجيش،نقيب المماليك، أمير السلاح،أمير المجلس، أمير الطبلخاناه، الدوادار الكبير، أمير أخور، رأس النوبة، صاحب الحجاب، أمير خازندار، أمير مئة مقدم ألف، مقدم المماليك، وقاضي العسكر[1] .

ج . **1/نائب السلطان:** وهو سلطان مختصر أو السلطان الثاني كما يسميه العمري، ويُسمى كافل الملك[2]، ويسميه في التعريف بالمصلح الشريف بكافل الممالك الإسلامية«وهو يحكم في كل ما يحكم فيه السلطان، ويعلم في التقاليد والتواقيع والمناشير وغير ذلك مما هو من هذا النوع على كل ما يعلم عليه السلطان »[3]، وعليه فإن صلاحياته تبدو واسعة إذ يرجع إليه التصرف المطلق في كل أمر يُراجع في الجيش والأموال، وهو الذي يستخدم الجند، ويرتب في الوظائف، ولا يكون التصرف إلا بأمره، «ولا يفصل أمرا معضلاً إلا بمراجعته»[4]، وفيه يقول ابن شاهين: « والأمور جميعها محذوقة به ويعلّم على القصص عوضا عن السلطان وله أبهة عظيمة»[5] وبوفاة السلطان الناصر محمد بن قلاوون ألغي هذا المنصب، ثم أعيد تجديده بعد ذلك إلا أنه لم يستعد أهميته ومكانته السابقة[6].

---

(1) إسرائيليان، فن الحرب، ص 110.

(2) العمري، مسالك الأبصار، ج3، ص453.

(3) شهاب الدين العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، تحقيق: محمد حسن شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، 1988، ص94، القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص14.

(4) العمري، مسالك الأبصار،ج3، ص453.

(5) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص112.

(6) فهيم، المرجع السابق ، ص 73.

ج . 2/**أتابك العسكر**: وأصلها أطابك وتعني " الوالد الأمين" باللغة التركية[1]، ويقال حسب القلقشندي أن أطابك معناه الأمير الأب والمراد أبو الأمراء« وهو أكبر الأمراء المقدّمين بعد النائب الكافل، وليس له وظيفة ترجع إلى حكم وأمر ونهي، وغايته رفعة المحل وعلو المقام»[2]، ويسمى أيضا الأمير الكبير وسماه ابن شاهين "بكلربكي" أو "باكلارياتي" حسبما ورد في بعض المراجع وتعني أمير الأمراء[3]، وتسمى وظيفته بالأتابكية التي كان لها شأن عظيم حسب ابن شاهين، إذ كان شائعاً أن يخلف السلطان في العرش، وكان قائداً أعلى للجيش فهو بمثابة القائد العام للقوات المسلحة في وقتنا الحاضر[4].

ج.3/ **ناظر الجيش**: يرأس ديوان الجيش موظف كبير يسمى بناظر الجيش وهو أشبه بوزير الدفاع فهو المشرف على الجيوش وما يتعلق بها[5]، وكان ناظر الجيش أو "نظر الجيش" حسبما ورد في المصادر يتولى أمر الإقطاعات في مصر وبلاد الشام « والكتابة بالكشف عنها ومشاورة السلطان عليها وأخذ خطه»[6]، ويبدو أنه كان يُشترط في تولي هذا المنصب أن يكون قاضياً لأن كل من تولاه كانوا من القضاة[7].

ويذكر القلقشندي أن لناظر الجيش أتباع يولون عن السلطان وهم: صاحب ديوان الجيش وكتابه وشهوده، وصاحب ديوان المماليك، وكاتب المماليك وشهود المماليك[8]،

---

(1) أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، مصدر سابق، ج 2، ص 189، دهمان،معجم الألفاظ التاريخية، مرجع سابق، ص11.

(2)القلقشندي، مصدر سابق، ج4، ص18.

(3) ابن شاهين، ص112، فهيم، المرجع السابق ، ص 75، إسرائيليان، المرجع السابق ، ص 113.

(4) ابن شاهين، ص112، فهيم،المرجع السابق ، ص 75.

(5) ابن شاهين، ص 103، إبراهيم حسن، المرجع السابق ، ص 297.

(6)القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص31.

(7)إبراهيم حسن، المرجع السابق ، ص 297.

(8)القلقشندي، مصدر سابق، ج4، ص31.

وبالنسبة لصاحب ديوان الجيش فهو يلي ناظر الجيش في الرتبة، و ينوب عنه في تصريف شؤون هذا الديوان في حال غيابه، فوهو أشبه بوكيل وزارة الدفاع حالياً[1].

أما صاحب ديوان المماليك فلعل القلقشندي يقصد به مستوفي الجيش: الذي يقوم بتحديد مرتبات الجند، وتدوينها في كشوف خاصة ويشرف على تنفيذ ما جاء بها بعد اعتمادها من طرف السلطان، وكان يشرف على هذه المهمة شخصان: الأول متعلق بجند الديار المصرية، والثاني يرتبط بجند البلاد الشامية لأنه كما سبقت الإشارة فإن ديوان الجيش كان ينقسم إلى ديوان الجند المصري، وديوان الجند الشامي. وبالنسبة لكاتب المماليك وشهود المماليك: فهو المشرف على صرف نفقات الجند [2].

يوجد كذلك مستوفي إقطاع العرب المتصرف في إقطاعات العرب، ولعل وظيفته ألغيت وأصبحت ملحقة بمستوفي الإقطاعات الشامية، ويشترط في هؤلاء الموظفين الدقة والأمانة ويكونون على دراية كافية بالتفاصيل الدقيقة المتعلقة بمهامهم[3] .

ويساعد ناظر الجيش موظف آخر إلى جانب الموظفين المذكورين وهو نقيب الجيش: ويصف المقريزي هذه الوظيفة و المهام المنوطة بصاحبها بقوله: « نقابة الجيوش: هذه الرتبة كانت في الدولة التركية من الرتب الجليلة، ويكون متوليها كأحد الحجاب الصغار، وله تحلية الجند في عرضهم، ومعه يمشي النقباء، فإذا طلب السلطان أو النائب أو حاجب الحجاب أميرا أو جنديا، كان هو المخاطب في الإرسال إليه، وهو الملزوم بإحضاره، وإذا أمر أحدهم بالترسيم على أمير أو جندي، كان نقيب الجيش هو الذي يرسم عليه، وكان من رسمه أنه هو الذي يمشي بالحراسة السلطانية في الموكب حالة

---

[1] إبراهيم حسن، المرجع السابق ، ص 297

[2] إسرائيليان، مرجع السابق ، ص 114، إبراهيم حسن، المرجع السابق ، ص 297.

[3] إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص 298.

السرحة، وفي مدة السفر...» [1]ومثل ذلك ما ذكره العمري في مسالك الأبصار [2]، ووظيفته تشبه ما يعرف في وقتنا الحاضر بمدير الشرطة العسكرية فهو المتكلم نيابة عن السلطان أثناء محاكمة الخصوم من المماليك قي طباق القلعة ، وينقل إجاباتهم إليه، كما يقوم بمرافقة الأمراء والموظفين المغضوب عليهم من السجن إلى البلاط السلطاني أو العكس، ويصطحب الأمراء والموظفين المنفيين إلى أماكن نفيهم، وتوصيل المحكوم عليهم إلى ساحة الإعدام، وإعلان الجيش بالتجهز للقيام باستعراض عسكري، أو الخروج لحملة عسكرية[3]، وبالتالي فإن مركزه كان عاليا وكان مرهوب الجانب حتى صار في زمن المقريزي: « عبارة عن كبير من النقباء المعدين لترويع خلق الله تعالى، وأخذ أموالهم بالباطل على سبيل القهر»[4].

ج .4/**نقيب المماليك**: وكان إلى جانب نقيب الجيش موظف أخر يدعى نقيب المماليك، لمساعدة ناظر الجيش كذلك في ديوانه، ولعله كان مقتصراً فقط على المماليك السلطانية[5].

ج .5/**الإمرة ووظائفها**: كان للجيش المملوكي قواد يسمون الأمراء وظيفتهم الإمرة التي يصل إليها المملوك بالتدرج في الترقي، وكان يتم ترسيم الأمير في حفل كبير يقام له بالقاهرة، تمد فيه الأسمطة (موائد الطعام)، ويقدم له الأمراء الأعطيات والهدايا، ويتسلم التشريفة من السلطان في قلعة الجبل ويحلف يمين الولاء.

---

[1] المقريزي، الخطط، ج3، ص 388.

[2]العمري، مسالك الأبصار، ج3، ص 465.

[3] إسرائيليان، المرجع السابق ، ص 114 ، إبراهيم حسن، المرجع السابق ، ص 298.

[4]المقريزي، الخطط، ج3، ص 388.

[5] إسرائيليان، المرجع السابق ، ص 115.يمكن الإطلاع على الهيكل العام للجيش المملوكي البحري في آخر هذا البحث، ملحق رقم 4، ص126.

وكان الأمراء يتدرجون في مراتبهم من أمير خمسة إلى أمير عشرة، إلى أمير أربعين إلى أمير مائة مقدم ألف، ويتميزون في درجاتهم بعدد الجنود الذين هم تحت إمرتهم، وبعدد المماليك الذين يملكونهم وحتى ببعض العلامات التشريفية وهي نوع من الرنوك يتخذونها شعاراً لهم[1].

ج .6/**أمير خمسة** هي أدنى رتب الجيش المملوكي، يمكن لصاحبها أن يكون تحت إمرته خمسة مماليك، وعددهم قليل في مصر وأغلبهم من أبناء الأمراء المتوفين، منحت لهم إكراماً لسلفهم، ويعرفون أيضاً بالجمع (أمراء الخمسات أو الخمسوات)، ويعتبرهم القلقشندي مثل أكابر الأجناد، وبلغ عددهم في مصر ثلاثين أميراً بخدمة كل واحد منهم خمسة مماليك حسب ابن شاهين[2].

ج . 7/ **أمير عشرة:** وجمعها أمراء العشرات فكان عددهم حسب ابن شاهين خمسين أميراً، وبخدمة كل واحد منهم عشرة مماليك، وربما من كان فيهم من له عشرين فارسا على قول العمري، ولا يعدون إلا ضمن أمراء العشرات، ومنهم يكون صغار الولاة ونحوهم من أصحاب الوظائف[3].

ج . 8/**أمير الطبلخاناه:** ويسمى كذلك أمير أربعين لأن صاحبها يكون في حيازته أربعين مملوكا، وهذه الرتبة هي ثاني رتب الجيش المملوكي بعد أتابك العسكر، وسميت كذلك لأن لأصحابها الحق في دق الطبول على أبوابهم[4]، وذكر المقريزي أن أمراء الطبلخاناه

---

[1] فهيم، المرجع السابق ، ص ص 75 . 76. وبالإمكان الإطلاع على التركيب الهرمي لأقدمية الرتب العسكرية للجيش المملوكي البحري في آخر هذا البحث، ملحق رقم5، ص127.

[2] العمايرة، مرجع سابق، ص ص 42 . 43، القلقشندي، مصدر سابق،ج4،ص 15، ابن شاهين، مصدر سابق،ص 113.

[3] ابن شاهين، المصدر السابق، ص 113، العمري، مسالك الأبصار، ج3، ص 430، القلقشندي، مصدر سابق، ج4، ص15.

[4] العمايرة، مرجع سابق ، ص ص 39 . 46.

معظمهم تكون له إمرة أربعين فارساً، وقد يوجد منهم من يكون له أكثر من ذلك من السبعين إلى الثمانين فارساً، وعادة ما يعين في هذا المنصب من يكون له عراقة في النسب كبقايا ملوك أو أرباب وظائف جليلة مثل حاجب كبير أو مدبر دولة لم يصرح له بالوزارة[1]، وبلغت عدتهم أربعين أميراً كل واحد منهم تدق ببابه ثلاثة أنواع من الطبلخاناه ونفيران[2].

ج.**9/أمير السلاح:** وهوالذي يتولى أمر السلاح الخاص بالسلطان أو الأمير[3]، ويسمى أيضا السلاح دار، ووظيفته تعادل وظيفة مدير الأسلحة والذخيرة بالقوات المسلحة، فهو الذي يتولى حمل أسلحة السلطان عند ظهوره أمام عامة الناس، كما كان مسؤولاً عن بيت السلاح (السلاح دارية)[4].

ج.**10/أمير مجلس:** وهو لقب يطلق على من يتولى أمر مجلس السلطان أو الأمير في الترتيب وغيره[5]، ويشير إسرائيليان أن وظيفته أقرب إلى مدير الخدمات الطبية في القوات المسلحة حالياً لأنه كان مسئولا عن أمير الأطباء [6].

ج. **11/أمير مئة مقدم ألف:** وهي أعلى رتبة في الجيش المملوكي يكون في خدمة صاحبها مائة مملوك كحد أدنى، وقد يصل أحيانا إلى مائة وعشرة أو مائة وعشرون مملوكا، ويعني مقدم ألف أن يكون مقدماً على ألف جندي من أجناد الحلقة وقت الحرب، ويسمى أصحاب

---

(1) المقريزي، الخطط، ج3، ص 376، العمري، التعريف بالمصطلح الشريف، ص ص 103. 104.

(2) ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص113.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص 428.

(4) فهيم، مرجع سابق ، ص ص 78 . 79.

(5) القلقشندي، المصدر السابق،ج5، ص 428.

(6) إسرائيليان، مرجع سابق ، ص 117.

هذه الرتبة مقدمو ألف أو ألوف، وتسمى رتبتهم تقدمة ألف أو ألوف[1] وهم من الأكابر الذين يكون منهم أكابر النواب ، بلغ عددهم أربعة وعشرين أميراً[2].

ج .12/ **الدوادار الكبير**: كلمة دوادار مركبة من مقطعين: الأول عربي وهو "دوا" أي الدواة، والثاني فارسي " دار" بمعنى صاحب أو ممسك، فيصبح المعنى صاحب الدواة أو ممسك الدواة[3].

و الدوادار الكبير من الوظائف الهامة التي أسندت إلى أمراء المئات[4]، ويشير العمري أن الدوادار هو نفسه كاتب السر وأمير جاندار[5]، ومهمة الدوادار تبليغ الرسائل عن السلطان، وتقديم القصص (الأخبار) إليه، وتقديم البريد إذا حضر، ويأخذ خط السلطان على عموم المناشير والتواقيع والكتب، والمشاورة على من يحضر إلى الباب[6].

ج .13/**أمير آخور**: هذا المصطلح كذلك مركب من مقطعين: "أمير" وهو عربي، و"آخور" فارسي ومعناه المعلف، ويقصد به أمير المعلف، وأسندت هذه الوظيفة إلى أرباب السيوف حسب رتبهم العسكرية في الجيش المملوكي بدءً بأمير آخور كبير، وانتهاءً بأمير آخور صغير،

---

(1) العمايرة، مرجع سابق ص 49.

(2) القلقشندي،المصدر السابق، ج3، ص 429، ابن شاهين، المصدر السابق،ص 113.المقريزي، الخطط، ج3،ص 376.

(3) العمايرة، مرجع سابق ، ص 127.

(4)العمايرة المرجع السابق، ص 43.

(5) أمير جاندار: هذا المصطلح مركب من مقطعين الأول تركي "جان" بمعنى روح، والثاني فارسي "دار" بمعنى ممسك، والمعنى هنا مرتبط بالحفاظ على روح السلطان من الأذى، والإشراف على تنفيذ عقوبة القتل التي يأمر بها السلطان بحق أحد الأمراء، العمايرة، مرجع سابق ، ص 41، القلقشندي، مصدر سابق، ج5، ص433، العمري، مسالك الأبصار،ج3، ص 456.

(6)جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، ج2، دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1967م، ص 131، العمري، مسالك الأبصار،ج3، ص 456.

واستحدث هذا المنصب السلطان الظاهر بيبرس[1]، وهو المشرف على إسطبل السلطان أو الأمير، ويتولى أمر ما فيه من دواب[2].

ج.**14/ رأس النوبة:** أو رأس نوبة النوب كما ورد في معجم الألفاظ التاريخية للعصر المملوكي، وهو الذي يتحدث (يأمر) على مماليك السلطان أو الأمير وينفذ أمره فيهم وهو أعلاهم مرتبة، ومنها رؤوس النوب: وهم أربعة أمراء يرأسهم مقدم ألف يشرفون على المماليك السلطانية[3]، ويذكر القلقشندي بأنه لقب يطلق على الذي يتحدث عن مماليك السلطان أو الأمير، وينفذ أمره فيهم، والمقصود برأس: "الأعلى"، و هي مأخوذة من رأس الإنسان لأنه أعلاه، والنوبة تعني المرة بعد الأخرى ، تجمع "نوب"، وعامة الناس تقول "رأس نوبة النوب" وهذا خطأ حسب رأي القلقشندي، لأن المقصود علو صاحب النوبة لا النوبة نفسها والصواب أن يقال فيه "رأس رؤوس النوب" أي أعلاهم[4]، وهذه الوظيفة تطابق وظيفة رئيس هيئة التنظيم والإدارة بالقوات المسلحة حالياً، واستحدثت بعد إلغاء وظيفة رئيس نوبات الأمراء[5].

ج.**15/صاحب الحجاب:** وهذه الوظيفة هي أقرب حالياً إلى مدير إدارة القضاء العسكري في القوات المسلحة، يقوم بالنظر في القضايا بين الأمراء والجند، وتقديم المبعوثين والضيوف إلى السلطان، وهو المسئول عن ترتيب الإستعراضات في الجيش، وجرت العادة أن يكون في وظيفة الحجوبية أربعة حجاب كلهم من الأمراء أصحاب السيوف،أحدهم أمير مائة مقدم

---

(1) العمايرة، مرجع سابق ص ص 37، 38 .

(2) القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص433.

(3) دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي ،ص 81، فهيم، مرجع سابق، ص 79.

(4) القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص428،427.

(5) إسرائيليان، مرجع سابق ، ص 118.

ألف ويسمى حاجب الحجّاب، والثلاثة الباقون إما أمراء طبلخانات أو طبلخانتان وأمير عشرة[1] .

ج.16/ **أمير خازندار**: يتولى هذا المنصب أمراء من الطبلخاناه، والملاحظ أنه هناك اختلاف في تحديد معنى هذا المصطلح، فهناك من يرى أن وظيفته تشبه وظيفة مدير السجن الحربي حالياً ، إذ كان يعتقل الأشخاص المحكومين[2]، أما الرأي الثاني وهو الأرجح أن وظيفة الخازندارية موضوعها التحدث في خزائن الأموال السلطانية من نقد وقماش وغير ذلك، فهو كبير المشرفين على خزانة بيت المال السلطانية[3].

ج.17/ **مقدم المماليك**: يذكر القلقشندي أن موضوعها التحدث على المماليك السلطانية والحكم فيهم، ولا يكون صاحبها إلا من الخدام الخصيان المعروفين بالطواشية، ومقامه فيهم مثل مقام رأس النوبة، ويكون من أمراء الطبلخاناه وله نائب أمير عشرة، يركب خلف المماليك إذا ركب السلطان كأنه يحفظهم[4].

ج.18/**قاضي العسكر**: وهي تمثل القاضي العسكري إذ كان للجيش المملوكي قضاة حسب المذاهب الأربعة: الشافعي والمالكي والحنبلي والحنفي، يلقب كل واحد منهم "بقاضي العسكر"،إلا أن منصب القاضي الحنبلي كان شاغراً، إما لعدم وجود حنابلة في الجيش المملوكي أو«ليس للحنابلة منهم حظ» كما ذكر القلقشندي، ومهمتهم الفصل بين الجند إذ كانوا يرافقون الحملات العسكرية، للفصل بين أفرادها في الخلافات التي تنشأ عند تقسيم الغنائم، أو عند تقسيم ميراث أحد الجند المتوفين، ومهمتهم انحصرت فقط بشؤون العسكر

---

[1]القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص225، إسرائيليان، مرجع سابق ، ص 118.

[2] وهذا الرأي قال به كل من محمود فهيم، مرجع سابق، ص 8، و يتفق معه إسرائيليان، مرجع سابق ، ص 118 .

[3]يُنظر حول هذا الرأي: السيوطي، المصدر السابق ، ج2، هامش رقم،1 ص 97. القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص21، العمايرة، مرجع سابق ، ص42، طرخان، مرجع سابق، ص212.

[4]القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص22 ،ج5، ص 428،ج11، ص172.

فلم يكن لهم فصل في النزاع بين الصناع والحرفيين وغيره، وكانوا يخرجون مع السلطان في أسفاره[1].

نشير إلى أنه هناك العديد من الوظائف عرفتها الدولة المملوكية إلا أننا اقتصرنا فقط على الوظائف التي ارتبطت بشكل مباشر ووثيق بالجيش المملوكي.

من خلال هذا العرض نستنتج أن النظم العسكرية عند المماليك البحرية هي نتاجاً لأنظمة الدول التي سبقت عهدهم كالسلاجقة والأيوبيين وحتى الفاطميين،إلا أنه في عهدهم تطورت هذه النظم واكتملت وبلغت أوجها، كما أنها خضعت إلى الصرامة والجد، وعدم التساهل وذلك هو سر قوة الدولة في عهودها الأولى (دولة المماليك البحرية)، ولما أُهمل هذا النظام في عهد الدولة الثانية (البرجية) ساءت أحوال الدولة مما عجّل بزوال عهد المماليك على أيدي العثمانيين كما هو معروف، كما كان للأساس الديني دور في تربية وتنشئة المماليك، نظراً للتأثير الفعال للدين على النفوس وشحذ الهمم للتصدي للأعداء، وهناك تشابه كبير بين الإجراءات المتبعة من قبل سلاطين المماليك، وبين ما هو معتمد اليوم في النظم العسكرية الحديثة من إجراءات، فضلا عن التشابه في بعض الوظائف و إن اختلفت التسميات.

---

[1] القلقشندي،مصدر السابق، ج4، ص37، إسرائيليان، مرجع سابق، ص119.

## المبحث الثالث: إدارة المماليك البحرية للحروب ضد المغول والصليبيين

- الإستراتجية العسكرية عند دولة المماليك البحرية
- بعض المعارك التي خاضها الجيش المملوكي البحري ضد المغول و الصليبيين
- الأسطول البحري و دوره في حروب المماليك

سنتناول في هذا المبحث الإستراتيجية العسكرية عند دولة المماليك البحرية، ثم ندرس نماذج لبعض المعارك التي خاضتها هذه الدولة ضد المغول والصليبيين، وفي الأخير الأسطول البحري المملوكي ودوره في حروب المماليك مع أعدائهم.

**1) الإستراتيجية العسكرية عند دولة المماليك البحرية:**

**أ. الأساليب التخطيطية للقتال الإستراتيجي لدى جيش المماليك البحرية:**

اتبع المماليك البحرية نظامًا محكمًا في التخطيط الإستراتيجي لإدارة المعارك ضد أعدائهم، وتتمثل الأساليب المعتمدة من قبلهم في الخطوات التالية:

**1)عقد مجلس الحرب**: أو ما يعرف بمجلس الجيش وهو أشبه بمجلس الأمن الوطني(القومي) يرأسه السلطان، يكون كل من أتابك العسكر والخليفة وقضاة المذاهب الأربعة وأمراء المئين البالغ عددهم أربعة وعشرين أميراً أعضاء في هذا المجلس[1].

والهدف من عقد هذا المجلس هو لأخذ الاستشارة من رجال الدولة ومعرفة أرائهم في مسألة الإقدام على حرب من الحروب، وجعل قرار الحرب أمراً مشروعاً، وأخذ الرأي في المهام المنوطة بكل فريق، مثلما حدث في المجلس الذي عقده سيف الدين قطز عقب تسلمه رسالة المغول التي حملت التهديد والوعيد من قبلهم[2]، إذ اجتمع كبار الأمراء والقادة والفقهاء والأعيان واتفق معهم على قتل رسل المغول والخروج لملاقاتهم في عين جالوت[3] .

**2)التجهيزات القتالية:** وهو ما كان يعرف باسم لباس الحرب مما يعني الاستعداد للقتال، أو ما يعرف في المصطلح المملوكي باسم " التغير" الذي يعني تجهيزات ما قبل المعركة ووضع الخطة، وإعداد العدة، وقد يعني كذلك لبس الميدان، وقد يقابله حالياً ما يعرف بالتجهيزات القتالية للجيش والتفتيش النهائي لتجهيز الجيش قتاليًا [4]، ويكون ذلك بعد الاتفاق حول

---

[1] أرتور إسرائيليان، فن الحرب في العصر المملوكي الأول، مرجع سابق، ص 174، فهيم، ص ص 136،137.

[2]للإطلاع على نص الرسالة التي بعث بها هولاكو إل سيف الدين قطز ينظر الملحق رقم7، ص129.

[3] إسرائيليان، المرجع السابق، ص 174. المقريزي، السلوك، ج 1، ص515.

[4]محمود فهيم، الفن الحربي للجيش المصري، مرجع سابق،ص 137.

قرار الحرب فيأمر السلطان بجمع الجند من مختلف أرجاء البلاد لأداء يمين الولاء والطاعة له، ثم تقدم لهم الخُلع والرواتب والعدد والسلاح من بيوت السلاح( السلاح خانات) ، كما تُستعرض فرق الجند على اختلاف مراتبهم قبل الخروج أمام السلطان وهو مرتدياً لباس الحرب، مع تعيين قائد للجيش من ذوي الخبرة في القتال له باع طويل في خوض الحروب وفنونها، ويعرف ذلك الإجراء أيضاً في المصطلح الحربي المملوكي باسم "النفير"[1]، وهذا ما يعرف في المفهوم العسكري الحالي بالحشد الإستراتيجي، وعادة ما يكون السلطان هو القائد في الغالب ويسير على رأس الحملة الحربية، و يتخذ مركزه في القلب لكي يراه كل الجنود وينفذون أوامره في الوقت المناسب، وهذا ما يعرف بتأمين القيادة أو السيطرة على القوات[2].

ولم يكن الجيش يتكون من الفرق المقاتلة وحسب؛ بل ضم العديد من الفرق التي يمكن اعتبارها مكون أساسي في التجهيزات القتالية، ومن أهم هذه الفرق نذكر: الفرق الهندسية، والفرق الطبية، فرق الموسيقى العسكرية، حمَلَة الأعلام والرايات، والفرق الاستطلاعية والاستكشافية، وسنحاول إبراز دور كل منها .

**1. 2 الفرق الهندسية:** لم يغفل جيش دولة المماليك البحرية إلحاق هذه الفرق مع عسكره الخارج إلى ساحة المعركة، ويتلخص دور هذه الفرق فيما يلي:

– نصب المعدات الثقيلة كالمنجنيقات بأحجامها المختلفة بجوار المدن التي سيتم ضربها وتحريرها، فالمنجنيق لا يقوم بصنعه إلا من هم من ذوي الخبرة الخاصة والكفاءة العالية، مع علمهم بمناطق توفر المادة الأولية الضرورية لصناعته.

– زرع ما يعرف بالمثلثات في الأرض وهي آلات حديدية مثلثة الشكل، وتعرف كذل بالحسك كانت تزرع على شكل كمائن أرضية لإسقاط خيول العدو بمن عليها، إذ تؤثر بشكل كبير في أقدام الخيل وتعيقها عن الحركة، وأحياناً تطلى تلك المثلثات بمادة سامة مما يؤدي إلى موت تلك الخيول[3]، فكانت الفرق الهندسية على علم تام بكل المناطق في الدولة

---

[1]علي إبراهيم حسن، دراسات في تاريخ المماليك البحرية ، ص303.

[2] إسرائيليان، المرجع السابق، ص ص 174. 176، فهيم، المرجع السابق، ص137.

[3] العمايرة، مرجع سابق، ص269.

المملوكية لتحديد خط سير الحملة العسكرية ذهاباً وإيابًا من جهة، وتحديد مواقع تواجد تلك المثلثات من جهة أخرى.

– استخراج النفوط المستخدمة في الصناعات العسكرية، وخاصة النفط المستخدم لإحراق مراكب الأعداء، وكذلك القيام بثقب أسوار المدن المحاصرة بالمعدات الخاصة بذلك.

– توفير المياه وتحصين معسكر الجيش، فعلى سبيل المثال فإن أي قلعة كان يتم تحريرها من أيدي الصليبيين كان السلطان يأمر الفرق الهندسية بتوفير المياه لتلك القلعة من إحدى العيون القريبة، كما حدث مثلا عندما حررت صفد في عهد السلطان الظاهر بيبرس 666 هـ/ 1268م [1].

**2.2 – فرق الموسيقى العسكرية:** سبق وأن أشرنا في المبحث الثاني من هذا البحث إلى استخدام المماليك للطبول في تجهيزاتهم القتالية، فهي إحدى وسائل الإعلام و الاتصال في الحروب، فقرع الطبول والنفخ في الأبواق له وقع وتأثير على النفس فهي ترهب العدو في الحرب، كما أن تأثير الموسيقى له وقعه حتى على الحيوانات مثلما أشار إلى ذلك ابن خلدون، وقد استخدم المماليك مؤسسة بأكملها داخل الجيش أطلق عليها اسم الطبلخاناه وهم يبالغون في استخدامها كما ذكر ابن خلدون ويستكثرون منها، إذ يسمح لكل أمير أو قائد عسكر أن يتخذ منها ما يشاء[2]، وتسمى أيضاً بالنقارات[3]، و منها ما يعرف بالكوسات[4]، واستخدام الطبول هو بمثابة إعلان إذاعي الذي ينشر أخبار المعركة سواء

---

[1] الجزار،النظام العسكري لدولة المماليك، مرجع سابق، ص ص 91 . 93.

[2] عبد الرحمن ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج1،تقديم: عبادة كحيلة، د . ط، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، 2007م،ص ص 215-217.

[3] النقارات: وهي آلات موسيقية تحمل في الموكب على عشرين بغلا، وتسير اثنتين اثنتين ولها حس حسن، القلقشندي، صبح الأعشى، مصدر سابق، ج3، ص544.

[4] الكوسات: نوع من الأبواق ،وهي صنوجات من نحاس تشبه الترس الصغير، يدق بأحدها على الآخر بإيقاع خاص،لها أصوات مهولة وحس عظيم وتحمل على خمس بغال، ابن خلدون، ج1، شمس الدين الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عبد السلام تذمري، ط2، ج17، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، 1993هامش رقم1، ص8، القلقشندي، صبح الأعشى،ج4، ص8، ابن تغري بردي ، النجوم،ج4، ص81،ج8،ص6.

بالنصر أو الهزيمة، فإذا ما دقت كانت تعبيراً عن النصر وإذا أبطلت كانت دلالة على الهزيمة [1].

**2 . 3 – حملة الأعلام والرايات:** قدم ابن خلدون وصفاً للرايات الخاصة بالمماليك بقوله: « وأما دولة الترك لهذا العهد بالمشرق فيتخذون أولا راية واحدة عظيمة وفي رأسها خصلة كبيرة من الشعر يسمونها الشالش [أو الجاليش حسب بعض المصادر[2]] والجتر[3] وهي شعار السلطان عندهم ثم تتعدد الرايات ويسمونها السناجق واحدها سنجق وهي الراية بلسانهم »[4]، وكان للسلطان ثلاثة أعلام منها راية من حرير أصفر مطرّزة بالذهب تكتب عليها ألقاب السلطان واسمه وتسمى العصابة، يحملها العلم دار [5]، وراية بيضاء كبيرة في رأسها خصلة من الشعر تسمى الجاليش، ورايات أخرى صغار لونها أصفر تسمى سناجق ويحملها خلف السلطان السنجقدار[6].

وكان السلطان يخرج في أوقات السلم بالسناجق فقط، أما في وقت الحرب فكان يخرج بالأعلام الثلاثة( هيئة الميدان كاملة) وكانت الرايات « تستخدم على المستوى الاستراتيجي

---

[1] الجزار، المرجع السابق، ص 97.

[2] ينظر حول هذه التسمية التي يقصد بها أيضاً الطليعة من الجيش وهي مقدمة القلب كلاً من: ابن تغري بردي،المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق محمد محمد أمين، تقديم سعيد عبد الفتاح عاشور، د . ط،ج4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د . ت، ص 171. القلقشندي، صبح الأعشى، ج14، ص163.فهيم، مرجع سابق،ص 162.

[3] الجتر: وتسمى المظلة إحدى شعارات السلطنة المملوكية، وهي عبارة عن قبة من الحرير الأصفر المزركش بالذهب يعلوها طائر من فضة، مطلية بالذهب تحمل على رأس السلطان في العيدين مع أحد كبار أمراء الألوف، العمايرة، المعجم العسكري المملوكي، مرجع سابق، ص86.

[4] ابن خلدون، مصدر سابق،ج1، ص 217.

[5] القلقشندي، صبح الأعشى،ج5، ص 435.

[6] السنجقدار: كلمة مركبة من لفظين أحدهما تركي وهو سنجق ومعناه الرمح، والثاني دار ومعناه ممسك، فيكون المعنى ممسك الرمح، ولما كانت الراية تجعل في أعلى الرمح عُبّر بالرمح نفسه عنها، القلقشندي، صبح الأعشى، ج5، ص 430،ج4، ص7.

لإصدار المعلومات والأوامر المطلوب إصدارها،أو للإجابة عليها بواسطة إشارات معينة ومازال هذا الأسلوب يستخدم في القوات البحرية إلى اليوم » [1].

**2 . 4- الفرق الاستطلاعية والاستكشافية:** حرصت دولة المماليك البحرية كل الحرص على تكوين فرق مهمتها رصد أخبار العدو وتحركاته، وعرفت تلك الفرق باسم اليزك [2]، ويدخل ضمنها العيون والجواسيس،وتحدث القلقشندي عن أهميتهم بقوله:«وهو جزء عظيم من أسّ الملك وعماد المملكة»[3]، وكان اختيار العيون والجواسيس مهمة صاحب ديوان الإنشاء وهو الذي ينظر في أمرهم ويتدبر أمورهم ويصرفها، وعليه أن يحتاط في أمرهم أكثر مما يحتاط في أمر الرسل وأصحاب البريد، لأن الرسول كما يقول القلقشندي: « قد يتوجه إلى الصديق وقد يتوجه إلى العدو، والجاسوس لايتوجه إلا إلى العدوّ، وإذا وثق بجاسوسه فإنه إلى ما يأتي به صائر، وعليه معتمد، وبه فاعل»[4].

وكان استخدام الفرق الاستطلاعية قبيل أو أثناء الخروج لملاقاة العدو من بين الأساليب التي اعتمدها الجيش المملوكي البحري مع أعدائه سواء من المغول أو الصليبيين، وكانت هناك فرقة أيضاً في جيش المماليك تعرف باسم **"السرايا"** وهي طائفة يتم اختيارها من الجيش، ترسل قبل المعركة لقتال العدو وإرهابه أو استعلام خبره قد تكون من المشاة أو من الفرسان،

---

[1] فهيم، مرجع سابق،ص 163، وقد سبق لنا التعرض لدور الأعلام في الحرب في المبحث الثاني يمكن العودة إليه للاستزادة.

[2] اليزك: جمعها أيزاك وتسمى أيضا اليازاك وهي لفظة فارسية لها عدة معاني من بينها : رئيس العسس، من يراقب الفارين من أرض المعركة، مقدمة الجيش الحارس ، الجاسوس، ولها عدة مهام من بينها ما يدل على أنها الفرق الاستكشافية أو الطليعة من يتقدمون الجيوش لمعرفة أحوال العدو أو حراس الحدود، أو تلك التي تكون حاجز ما بين الجند والعدو، القلقشندي صبح الأعشى، ج7، ص 223، ج10، ص 113، محي الدين بن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق: عبد العزيز الخويطر،ط1 ، د . م ، الرياض، 1976م، ص 184 هامش رقم (2) ، العمايرة، المرجع السابق،ص 378.

[3]القلقشندي، صبح الأعشى، ج1، ص 159.

[4]نفس المصدر، ص 159.

وهي تشبه ما يعرف بالصاعقة حاليا وإن اختلفت العدة والعتاد[1]، ومن ذلك نذكر على سبيل المثال لا الحصر: خروج بيبرس قبيل معركة عين جالوت إلى غزة وكان وقتها رئيساً للفرقة الاستطلاعية، وكذلك عندما أصبح سلطاناً على مصر وبلاد الشام اهتم بأمر الفرق الاستطلاعية أثناء حروبه مع الصليبيين في الشام، و نذكر كمثال الفرقة الاستطلاعية التي أرسلها الظاهر بيبرس إلى مدينة عتليت بعد فتح قيسارية، حيث كانت تلك الفرقة تتظاهر بالصيد، واستطاع أحد عناصرها التسلل مشياً بين البساتين واستطلاع الأمر وقتل أحد الفرسان الصليبيين، وعاد بالأخبار إلى قيادة الجيش المملوكي مما كان له أثر في فتح تلك المدينة [2].

**2 .5 – الفرق الطبية:** كانت هذه الفرق ترافق الجيش في الحملات العسكرية وبصحبتها كل المعدات والأجهزة الطبية من الأدوية والأدوات الخاصة كالنقالات لحمل الجرحى أو المرضى كما كانت تنصب خيام أشبه بالمستوصف داخل معسكر الجيش للإسعاف وتلقي العلاج، وبإمكان المرضى الاستراحة فيها بأمان تحت رقابة الفرق الطبية، كما كان يتم تدريب الجند على إسعاف المرضى وتضميد الجروح لزيادة كفاءتهم القتالية ، وقد نقل المماليك ذلك على الأيوبيين، إذ يُؤثر عن صلاح الدين الأيوبي أنه كان ملماً بمبادئ التطبيب وإسعاف الجرحى[3].

**2 .6- الفرق المتطوعة في الجيش:** جدير بالإشارة إلى أن الدولة المملوكية لم تكن تسمح لأهل البلاد بالانخراط ضمن تشكيلاتها العسكرية التي أنفقت عليها النفقات الباهضة وحرصت على إعدادها وتربيتها منذ الصغر، إلا أنه هناك فرق أخرى من المتطوعين من أهل

---

[1] فهيم، المرجع السابق، ص 170، انفرد المؤلف بهذه التسمية (السرايا) وقد يقصد بها اليزك لأنها تتطابق في مفهومها ومهامها مع هذه الأخيرة.

[2] الجزار، المرجع السابق،ص ص 107، 108.

[3] علي إبراهيم حسن، مرجع سابق،ص 307،الجزار،المرجع السابق، ص 94، فهيم، المرجع السابق،ص 168.

البلاد آثرت المشاركة في الجهاد ضد الصليبيين والمغول الذين زحفوا باتجاه أراضي المسلمين واغتصابها ظلماً وعدواناً، ومن بينها نذكر القبائل العربية التي كانت تقيم بين بادية الشام والعراق والجزيرة مثل آل مهنا، وآل فضل وآل مرة[1]، فالفرق المتطوعة انضمت إلى فرق الجيش المملوكي منذ بدأ حروبه سواء ضد المغول أو الصليبيين، فشاركت هذه الفرق في معركة عين جالوت، ولعل ما ذكره اليونيني بخروج جماعة من العرب وغيرهم مع بيبرس البندقداري لقصد التتار الذين بالشام يثبت صحة ما نقوله[2].

وهناك من سادة العرب في الشام من دخل في خدمة السلاطين المماليك ومساندتهم في قتال المغول منهم نذكر على سبيل المثال لا الحصر عيسى بن مهنا سيد العرب في الشام الذي دخل في خدمة السلطان المنصور سيف الدين قلاوون [3]سنة 679هـ/ 1280م،وشارك في هزيمة التتار بوقعة حمص التي كانت في رجب سنة 681هـ/1282م[4].

**2 . 7. بث الحماس بين الجند للثبات في الجهاد:** إذ حرس السلاطين المماليك عند خروجهم لملاقات أعدائهم من المغول أو الصليبيين، على حث المجاهدين للقتال بالاستكثار من والوعظ وبذل النفس في سبيل الله، فكان الوعاظ والقراء يخرجون مع الجيش إلى جانب

---

[1]الجزار، المرجع السابق، ص 88 . 89.

[2]اليونيني، ذيل مرآة الزمان د . ت، ط2، ج1،دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1992م ص 365.

[3] المنصور سيف الدين قلاوون: هو سيف الدين أبو المعالي وأبو الفتح قلاوون عبد الله من قبيلة القبجاق التركية، اشتراه الأمير علاء الدين آقسنقر أحد مماليك الملك العادل الأيوبي وغالى في ثمنه لحسنه وصورته فلقب بالألفي، ثم أصبح من جملة مماليك نجم الدين أيوب فلقب بالصالحي النجمي، وسرعان ما أصبح من الأمراء البارزين على مسرح الأحداث في مصر، اعتلى عرش السلطنة بالطريقة المعتادة من قبل أسلافه بعزله لبدر الدين سلامش ابن الظاهر بيبرس لصغر سنه، وكانت مدة ملكه إحدى عشرة سنة من 678هـ/1279م إلى 689هـ/1290م، وظل الحكم وراثياً في أسرته إلى نهاية عهد دولة المماليك البحرية، بيبرس المنصوري، زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، مصدر سابق، ص 175، ابن تغري بردي ، النجوم، ج7، ص 292. سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، مرجع سابق، ص ص 169 . 170.

[4]أبو محمد بن سليمان اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، دون تحقيق، وضع حواشيه: خليل منصور، ط1،ج4، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997م، ص ص144، 145.

السلطان يقومون بتلاوة القرآن والحث على الجهاد والتشويق إلى الجنة، ومعهم الخليفة الذي كان يقوم بالدور ذاته حتى كان الفارس يسقط على الأرض مغشياً عليه من شدة الوعظ، حسبما أشار إلى ذلك كل من المقريزي وابن تغري بردي فكان الخليفة يقول:« يا مجاهدون لا تنظروا لسلطانكم قاتلوا عن حريمكم وعن دين نبيكم صلى الله عليه وسلم والناس في بكاء شديد ومنهم من سقط عن فرسه إلى الأرض»[1].

كما لا ننسى دور العلماء وعلى رأسهم سلطان العلماء العز بن عبد السلام[2]، وكتاباتهم في فضل الجهاد وتعلم الفروسية والفنون الحربية المتعارف عليها في ذلك العصر منها كتاب العز بن عبد السلام "الجهاد وفضائله"، وكتاب "الفروسية" لابن القيم الجوزية، و كتاب " تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسواء"، وكتاب "نهاية السؤل والأمنية في تعلم أعمال الفروسية" للأقسرائي الذي سبق وأن أشرنا إليه، فضلا عن كثير من المؤلفات ما تزال مخطوطات لم يتم تحقيقها بعد.

**ب . الأساليب الإستراتيجية للقتال وإدارة المعارك ضد المغول والصليبيين :**

من خلال تتبع المعارك التي خاضها المماليك البحرية مع المغول من جهة والصليبيين من جهة أخرى يمكن استنتاج بعض الأساليب الإستراتيجية المعتمدة في القتال نبرزها في النقاط التالية:

**1/ تنظيم الجيش:**

لعل أولى الأساليب الإستراتيجية المعتمدة في الحروب عند المماليك البحرية هي ترتيب وتنظيم الجيش عن طريق الصفوف قبل القتال، فهو السمة الأساسية البارزة التي اعتمد عليها جيش المماليك البحرية في الميدان عند الخروج لأي معركة ويعرف أيضاً بالمصاف، و من بين المؤرخين الذين قدموا وصفا لطريقة الصفوف؛ نذكر محمد ابن منكلي الناصري (توفي بعد سنة 778هـ/ 1376م)، صاحب كتاب الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب،حيث

---

[1] المقريزي، السلوك، ج2، ص 356، ابن تغري بردي النجوم، ج8، ص160.

[2] أنظر ترجمته في المبحث الأول من هذا البحث هامش رقم (5)، ص 43.

يقول في باب قتال الترك: « فإن كانت للترك المولية وقفة، بادرت الرجالة إلى نحوها، وأحرزت خيلها من وراء ظهورها. وإن لم تول الخيل في أول حملة عليها دنت الرجالة منها فشغلت وجوهها عن ركوبها الخيل عند تحيزها. فإن رأت الخيل بعدها إعادة الحملة عادت لها، وإن لم تر ذلك انكمشت مع الجمهور في الزحف والإكباب على مقارعة عدوها، مع قيام الطليعة والنافضة في نواحي العسكر بما عليه، وكينونة أصحاب الحواشي على تشمير وتيقّظ؛ لئلا يفاجئها من العدو ما يذهبها »[1].

ولعل من شرح هذا الأسلوب في القتال عند المماليك ابن خلدون في مقدمته، حيث أشار إلى طريقة القتال عندهم في فصل الحروب ومذاهب الأمم وترتيبها بقوله: « وبلغنا أن أمم الترك لهذا العهد قتالهم مناضلة بالسهام وأن تعبية الحرب عندهم بالمصاف وأنهم يقسمون بثلاثة صفوف يضربون صفا وراء صف ... »[2].

ويقصد ابن خلدون بالمصاف القتال عن طريق الصفوف، ويكون ذلك بتسوية الجند في صفوف مثل صفوف الصلاة أو ترتيب القداح واحدة جنب الأخرى، والمضي قدما تجاه العدو، وهذه الطريقة أثبت في المصارع وأصدق في القتال وأرهب للعدو لأنه مثل الحائط الممتد أو القصر المشيد لا يُطمع في إزالته حسب قول ابن خلدون [3]، وفي ذلك يقول الله عز وجل﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ**﴾[4] و جاء في تفسير هذه الآية: حثٌّ من الله لعباده على الجهاد في سبيله، وتعليمهم كيف يترتبون أثناء استعدادهم لملاقاة العدو وذلك بالاصطفاف صفًّا متراصًا

---

[1] محمد ابن منكلي الناصري، الحيل في الحروب وفتح المدائن وحفظ الدروب، تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز أحمد، د . ط، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 2000م، ص 368.

[2] ابن خلدون، مصدر سابق،ج1،ص229.

[3] ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 226.

[4] سورة الصف، الآية 4.

متساويًا من غير خلل، وبذلك تحصل المساواة بين المجاهدين، والتعاضد وإرهاب العدو، وتنشيط بعضهم بعضاً[1].

وجاء في الحديث النبوي الشريف:« الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضَهُ بَعْضًا»[2]، والهدف من إقامة الصفوف في القتال هو لحفظ النظام أيضًا[3].

ففي التعبية التي يقصد بها ابن خلدون التعبئة للجيش عن طريق الصفوف يُقسم الجيش إلى المقدمة التي يكون فيها القائد أو السلطان منفرداً بصفوفه ورايته وشعاره، وبجانبه الأيمن يكون عسكر آخر يسمى الميمنة، ثم على يسار السلطان تكون الميسرة، ثم عسكر آخر من وراء الجيش يسمى الساقة، ويكون موضع السلطان والمقربين منه بين هذه التقسيمات الأربعة (في الوسط)، ويسمى هذا الموضع بالقلب، وهذه الطريقة تعد أحسن أسلوب لتحقيق التقدم القتالي من حيث سهولة تأمين الجند من أي ضربات مفاجئة من العدو،مع سرعة تأمين الإمداد والتموين من مؤخرة الجيش [4].

كما أشار ابن خلدون أنه في طريقة الاصطفاف التي تكون في ثلاثة صفوف التي تسمى أيضاً بالأنساق؛ مفردها نسق[5]، إلى أن الفرسان يترجلون عن خيولهم عند الوصول إلى أماكن تمركز العدو إذا كانوا في مرمى سهامه[6]، وبذلك يحققون هدفين: أولهما التستر والاحتماء من سهام العدو، وثانيهما التمكن من رمي سهامهم بدقة أثناء التنشين، وتجنب الاهتزازات التي يمكن أن تحدث وهم على خيولهم، وبذلك يمكنهم إلحاق أكبر الخسائر الممكنة بالعدو قبل الالتحام به، وذلك ما يشبه التمهيد بالنيران قبل الوصول إلى خط

---

[1]عبد الرحمن بن الناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان،تحقيق:عبد الرحمن بن مُعلّا اللويحق، ط1، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2003م، ص221.

[2]الإمام مسلم، صحيحه،تحقيق: فؤاد عبد الباقي، د . ط، ج4، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لينان، د . ت، ص1999.

[3]ابن خلدون، المصدر السابق،ج1، ص 226.

[4]نفس المصدر، ص227، إسرائيليان، المرجع السابق،ص184.

[5]فهيم، المرجع السابق، ص150.

[6] ابن خلدون، المصدر السابق،ج1،ص229.

الاقتحام حالياً، كما أنه لكل صف دور يقوم به فالأول يبدأ بالهجوم، ثم يكون ذلك الهجوم بالتتابع حيث يأتي دور النسق أو الصف الثاني ثم الثالث وهكذا حتى يتم تدمير العدو تماماً [1].

وتشكيل القتال في داخل الصف ذاته قد يأخذ عدة أشكال منها تشكيل حلقة أو مستطيل أو مربع، أو رأس سهم أو رأس سهم معكوس، واتخاذ أحد هذه الأشكال متروك للقائد في الصف[2].

و يبدو أن المماليك لم يكتفوا في قتالهم بطريقة الصفوف فحسب، بل استخدموا كل طرق القتال المعروفة في ذلك العهد مع إدخال التعديلات المناسبة حسب كل معركة، والخطة القتالية المتبعة والمتفق عليها من قبل قيادة الجيش[3]، ومن هذه الأساليب في التعبئة نذكر أسلوب الكراديس[4]، وترتيبها يكون مثل ترتيب الصفوف « على أن يكون من الفرجة والخلل مقدار ما يحتمل دخول الكردوس المتأخر فيها وتقدمه إلى العدو منها... فإذا كان منهاج الترتيب من الكراديس والصفوف سواء، وجب أن يكون المقدم منهم سواء... فتكون كراديس الصف الثاني عند الدنو إلى العدو تتقدم كراديس الصف الأول، وكذلك تتقدم

---

[1] إسرائيليان، المرجع السابق، ص ص 185. 186.

[2] فهيم، المرجع السابق،ص152. وهذه تشكيلات داخل الصف الواحد لها عدة مسميات شرحها بشكل مفصل محمد ابن منكلي الناصري في مخطوطته المسماة " الأدلة الرسمية في التعابي الحربية" ، ونقلها عنه كل من محمود فهيم في كتابه الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكى، مرجع سابق ص ص 152 . 153.و إسرائيليان، فن الحرب في العصر المملوكي الأول، مرجع سابق، ص ص، 186 . 190، يمكن العودة إليهما للاستزادة أكثر حول هذه التشكيلات.ويمكن الإطلاع كذلك على أنموذج لأحد تشكيلات الصفوف في أخر هذا البحث الملحق رقم6، ص128.

[3] الجزار، المرجع السابق، ص ص 80. 81.

[4] الكراديس، مفردها كردوس بضم الكاف تطلق على مجموعة من الخيل وتعني كتيبة الخيل، وبهذا فالكردوس هو القطعة من القوات الراكبة المحاربة، ،الذهبي، تارخ الإسلام، ج3 هامش رقم 2، ص 151، ج4، هامش رقم 1، ص 49، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط4، ج10، دار الساقي، د . م، 2001، ص 114.

كراديس الصف الثالث إلى كراديس الصف الثاني، وعلى ذلك سائر كراديس الصفوف إن كانوا أكثر... »[1].

وعمل المماليك على دمج طرق متعددة مع بعضها في فنون القتال مثل الكر والفر، كما أن قتال الصفوف المعتمد بشكل أساسي عندهم؛ هو نفسه قتال الكراديس لأن الصفوف ذاتها عبارة عن كتائب مكردسة متراصة فيما بينها، بواسطتها يتمكن الجيش من السيطرة على أرض المعركة، وفي حال ما ترك أحد الجنود مكانه ضمن التنظيم كان يوصى بقتله وأخذ سلاحه وفرسه[2]، لأنه سيترك ثغرة أو فراغاً يكون محلاً للاستغلال من قبل الأعداء[3].

**2/ دراسة العدو للوصول إلى الأسلوب المناسب لتدميره بأقل الخسائر الممكنة:** وهذا الأسلوب جديد استخدمه الجيش المملوكي البحري لأول مرة في عين جالوت، عندما اتخذ قطز قراراً بالزحف أولاً بواسطة مقدمة الجيش أو ما يسمى باليزك في المصطلح العسكري المملوكي بقيادة بيبرس البندقداري لاستطلاع أخبار العدو لمعرفة نقاط ضعفه واستغلالها، وتدمير الحرس الأمامي للمغول في غزة واستعادتها من أيديهم وطردهم حتى نهر العاصي[4].

**3/اختيار الوقت ومكان المعركة المناسبين:** ولعل ذلك ما يبدو واضحا كذلك في معركة عين جالوت التي سنتحدث عنها خلال هذا البحث، وغيرها من المعارك باستدراج العدو لأرض المعركة التي يختارها قادة الجيش المملوكي البحري، فضلا عن مراعاة وقت المصاف الذي كان يقع في العادة إما في أوقات الصباح الباكر قبل اشتداد حرارة الشمس، وإما عصراً تفادياً لوقوع أشعة الشمس على الخوذ والسلاح وانعكاسها على الأعين وهذا ما يسمى حالياً تقدير الموقف التكتيكي من ناحية الجو والطقس، كما ربط الجيش المملوكي تشكيلاته القتالية بالقمر ومنازله خاصة تلك المجهزة للتحرك ليلا، كما أنه كان لكل يوم من أيام

---

[1] ابن منكلي، المصدر سابق، ص307.

[2] المقريزي، السلوك، ج2، ص 356، ابن تغري بردي، النجوم، ج8، ص160.

[3] الجزار، المرجع السابق، ص 81.

[4] إسرائيليان، المرجع السابق، ص ص 179. 192.

الأسبوع تشكيلاته القتالية فيوم السبت له تشكيلاته القتالية وتعبئته الخاصة تختلف عن باقي الأيام وكذلك يوم الأحد وهكذا [1].

**4/المبادأة واستخدام القوة الهجومية:** وهذه الإستراتيجية بدت واضحة أيضاً منذ عين جالوت التي قضى فيها الجيش المملوكي على أسطورة الجيش المغولي الذي لا يهزم، ومنذ ذلك الوقت أصبحت هذه الإستراتيجية خاصة بجيش المماليك البحرية سواء مع المغول أو الصليبيين على حد سواء، وتعرف هذه الإستراتيجية في المصطلح العسكري الحديث بإستراتيجية الحرب الخاطفة[2]، ومن الأمثلة على هذا النوع من الحروب نذكر ما قام به السلطان الظاهر بيبرس سنة 664هـ/1265م عندما خرج قاصدًا صفد[3]،أرسل كتاباً إلى عساكره الذين كانوا بحمص أمرهم فيه بالتوجه نحو طرابلس وأغاروا عليها على حين غفلة من العدو، وتمكنوا من فتح قلعة حلبا وعرقا[4]بعد أن أصبح حصن الأكراد[5] في أيديهم[6] .

**5/التظاهر بالارتداد أو التراجع:** استخدم جيش المماليك البحرية هذه الحيلة كغيره من الجيوش، إذ يقال بأن الفرنجة استخدموها أثناء الحرب الصليبية الأولى، و هذا التراجع قد يستغرق أحيانا عدة أيام الهدف منه إنهاك العدو واستدراجه يبعدا عن مواقعه، وكانوا يستخدمون لذلك مجموعة من فرقة الخيالة تقوم بإغراء العدو لكي يهاجم، ثم تستدرجه بالمناوشة حتى يصبح أحد أجنابه بجوار القوة الرئيسية التي تبقى متخفية إلى حين الوقت

---

[1] للإطلاع أكثر حول الفكرة أنظر فهيم، المرجع السابق، ص ص167 . 168.

[2]عبد الله سعيد محمد الغامدي، جهاد المماليك ضد المغول والصليبيين، ص 335.

[3] صفد: مدينة في جبال عاملة المطلة على حمص بالشام، وهي من جبال لبنان، بنست بها طائفة فرسان الداوية قلعة حصينة سنة 495هـ/ 1102م، ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط2، ج3،د . ت، دار صادر، بيروت، لبنان، 1995م، ص412. العمري، مسالك الأبصار، مصدر سابق، ج3، ص541.

[4] عرقا: وهي عرقة بكسر العين المهملة وسكون الراء مدينة تقع في الشمال الشرقي لطرابلس اللبنانية على مسافة خمسة عشر كيلومتر، وهي تقع على مرتفع جبلي بالقرب من حلبا، الذهبي، تاريخ الإسلام، مصدر سابق، ج15، هامش رقم 4، ص294.

[5] حصن الأكراد: حصن منيع يقع على الجبل الذي يقابل حمص من جهة الغرب، وهو جبل الجليل المتصل بجبل لبنان، وهو بين بعلبك وحمص، الحموي، مصدر سابق، ج2، ص264.

[6]ابن عبد الظاهر، مصدر سابق، ص252.

المناسب حيث يتم الانقضاض على العدو وتدميره، واستخدم هذا الأسلوب كطعم ضد الصليبين لإخراجهم من حصونهم وقواعدهم المتحصنين بها[1].

**6/ إستراتيجية الحرب التشتيتية:** يمكن القول أن هذه الإستراتيجية ورثها المماليك عن أسلافهم الأيوبيين في التعامل مع الإمارات الصليبية المختلفة، وبالنسبة للجيش المملوكي البحري فقد استخدمها في معاركه ضد المغول والصليبيين من خلال العمل على الحد من كل تعاون أو تنسيق بين هذه الإمارات والممالك والقلاع، فكانت هذه الإستراتيجية تأخذ أحياناً طابع المهادنة بعقد معاهدات أو اتفاقات مع بعض الكيانات الصليبية دون الأخرى، مما كان يسمح للجيش المملوكي بتركيز جهوده في الحرب ضد الكيانات التي لم يدخل معها في هدنة أو اتفاق.

ومن الأمثلة على تطبيق هذه الإستراتيجية ما قام به سيف الدين قطز عندما عزم على مواجهة التتار قبيل وقعة عين جالوت، حيث دخل في حلف استراتيجي مع حامية عكا مما ساعد في تحييدها أثناء حربه مع المغول[2].

وأحيانا ما كانت تأخذ هذه الإستراتيجية طابع العنف بالهجوم على عدد من مواقع العدو في وقت واحد، أو التحرك بسرعة من موقع إلى آخر مما يعيق حركة الطرف المعادي في التعاون مع حلفائه مثلما هو الحال بالنسبة للصليبيين عندما تم القضاء على كل من مملكة أرمينية وإمارة أنطاكية للحيلولة دون التعاون بينهما[3] .

ويندرج ضمن هذه الإستراتيجية ما قام به السلطان الظاهر بيبرس عندما عقد تحالفا مع زعيم القبيلة الذهبية بركة خان[4] لمواجهة مغول إيران[5] من جهة – الذين كان يتزعمهم أباقا

---

[1]فهيم، مرجع سابق، ص 163، إسرائيليان، المرجع السابق،ص 197.

[2]بسام العسلي، قادة الحروب الصليبية المسلمون، ط1، دار النفائس، بيروت/ لبنان، 2012م ص ص 247،248.

[3] المقريزي، السلوك، ج1، ص 516. العسلي،المرجع السابق، ص 248.

[4]بركة خان: هو بن دوشي خان بن جنكيز خان توفي سنة 665هـ/1266م، اعتنق الإسلام وراسل الظاهر بيبرس وحارب ابن عمه هولاكو وهزمه، عز الدين محمد بن شداد، تاريخ الملك الظاهر. حقيق: أحمد حطيط، د . ط، فرانز شتايز، ألمانيا، 1983م، هامش رقم 3، ص 35.

[5]أحمد مختار العبادي، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص 201.

أو أبغا بن هولاكو سنة 664هـ/1266م – ومن جهة أخرى الاستفادة من هذا التحالف للتفرغ للجبهة الصليبية حيث سير بيبرس جيشه للهجوم على عكا وإمارات الصليبيين وقلاعهم جنوب الشام، وفي الوقت ذاته توجيه جيش آخر بقيادة المنصور قلاوون إلى شمال الشام للتعاون مع جيش حمص والهجوم على إمارات الصليبيين هناك، والزحف باتجاه قليقية عاصمة مملكة سيس (أرمينية) والقضاء عليها [1]، كما عقد السلطان قلاوون الألفي العديد من المعاهدات مع الصليبيين تدخل في إطار الإستراتيجية المذكورة[2] .

**7/ إستراتيجية الهجمات الوقائية:** لعل معركة عين جالوت وما تبعها من معارك أظهرت مدى تطبيق المماليك البحرية لهذه الإستراتيجية، إذ أن وقعة عين جالوت لوحدها تعتبر هجوماً وقائيا كان هدفه إيقاف الزحف المغولي ومنعه من الدخول إلى مصر، كما تم القيام بالعديد من الأعمال العسكرية ضد الصليبيين تدخل ضمن هذه الإستراتيجية، خاصة عند محاولتهم (الصليبيين) تنفيذ أي هجوم مباغت على المسلمين حينما تصلهم حملات دعم من الغرب الأوروبي [3] .

وتجدر الإشارة إلى أنه من الصعوبة بما كان حصر جميع الأساليب الإستراتيجية في القتال عند الجيش المملوكي البحري بل اقتصرنا على البعض منها فقط، على اعتبار أننا سندرس نماذج لأهم المعارك التي خاضها هذا الجيش ومن خلالها ستتبين لنا بعض الأساليب التي لم نذكرها.

## 2) بعض المعارك التي خاضها الجيش المملوكي البحري ضد المغول والصليبين:

### أ/ حروب المماليك البحرية ضد المغول:

**1)معركة عين جالوت 658هـ/1260م:** يبدو أن أساليب التخطيط والقتال الإستراتيجيين عند جيش المماليك البحرية؛ تجلت أغلبها في هذه الوقعة التاريخية فكان سيف الدين قطز بعد استيلائه على السلطنة ، يحتاج إلى دعم معنوي استطاع الحصول عليه من خلال

---

[1] العسلي، المرجع السابق ، ص 248.

[2] للإطلاع على الهدن التي أقامها قلاوون الألفي مع الصليبيين ينظر: سامي بن أحمد المغلوث، مرجع سابق، ص77.

[3] العسلي، المرجع السابق، ص ص 248 . 249.

العلماء، في ظل غياب الخلافة العباسية التي كانت تقدم ذلك الدعم، فاستعان قطز بشيخ الإسلام العز بن عبد السلام لحشد التأييد المادي من العامة للجهاد ضد المغول، وذلك عندما عقد قطز مجلساً حضره الفقهاء والأعيان والقضاة لمشاورتهم فيما يقوم به بشأن المغول، فكانت الإجابة من الشيخ بأن يجمع هو وأمرائه ما يملكه من ذهب وأموال لتعبئة الجيش ،وإن لم يكف ذلك استعان بأموال الناس حيث قال:« أنه إذا طرق العدو على بلاد الإسلام، وجب على العالم قتالهم، وجاز لكم أن تأخذوا من الرعية ما تستعينون به على جهادهم، بشرط ألا يبقى في بيت المال شيء، وتبيعوا ما لكم من الحوائص[1]المذهبة والآلات النفيسة، ويقتصر كل الجند على مركوبه وسلاحه ويتساووا هم والعامة، وأما أخذ من العامة مع بقايا في أيدي الجند من الأموال والآلات الفاخرة فلا... »[2].

وكان لاستجابة قطز وأمرائه لرأي الشيخ العز بن عبد السلام أثره في إنجاح الخطوة الأولى في التجهيز القتالي الإستراتيجي لمواجهة المغول.

كما عمل قطز على استنهاض الهمم بين الأمراء المترددين في الخروج لملاقاة المغول فقال لهم:« يا أمراء المسلمين لكم زمان وأنتم تأكلون أموال بيت المال وأنتم للغزاة كارهون وأنا متوجه فمن اختار الجهاد يصحبني ومن لم يختر ذلك فليرجع إلى بيته. فإن الله مطلع عليه و خطيئة حريم المسلمين في رقاب المتأخرين...» [3]، ووافقه الأمراء الذين اختارهم واستحلفهم في مواجهة المغول، فلم يكن بوسع البقية المترددة غير الموافقة أيضاً، وأمر بقرع الطبول وقال: « أنا ألقى التتار بنفسي فلما رأى الأمراء مسير السلطان ساروا على كره»[4].

ثم إن اختيار زمان المعركة له من الدلالة ما يوحي بتمسك المماليك بالصبغة الدينية وإضفائها على أعمالهم القتالية ضد أعدائهم، إذ كانت الموقعة في شهر رمضان وفي العشر

---

[1]الحوائص: مفردها حياصة وهي حزام كان يطلق عليه منطقة ثم أطلق عليه حياصة تصنع من الفضة وأثمنها ما يصنع من الذهب، وكانت تحلى بالمجوهرات، النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مصدر سابق، ج32، هامش رقم 1، ص 20.

[2]عز الدين بن عبد السلام، أحكام الجهاد وفضائله، مصدر سابق، ص16.

[3]المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، مصدر سابق، ج1، ص 515.

[4]نفس المصدر ، ص515.

الأواخر منه يوم 25 رمضان 658هـ /13سبتمبر1260م[1]، كما يتبين من الخطوات الإستراتيجية الأخرى مدى الاحترافية التي وصل إليها الجيش المملوكي البحري، بحيث قام قطز بعقد تحالف مع حكومة عكا الصليبية فحقق بذلك أهدافا في غاية الأهمية: تمثل الهدف الأول في ضمان عدم وقوف الصليبيين مع المغول ، فضلا عن عدم فتحه جبهة معهم وهو على أهبة الاستعداد لمجابهة المغول وهذا هو الهدف الثاني، أما الهدف الثالث فهو هدف تكتيكي مرتبط بإستراتيجية القتال مع المغول، إذ أن الجيش المملوكي الذي سيواجههم سلك الطريق الساحلي الذي كان بحوزة الصليبيين في عكا ،فهادنهم لكي يعمل على قطع خطوط إمداد الجيش المغولي وضرب مؤخراته[2] .

ثم قام قطز بإرسال فرقة استطلاعية (اليزك) وهي في الأصل مقدمة الجيش المملوكي إلى غزة بقيادة بيبرس، قامت بأداء دورها على أكمل وجه حيث استطلعت أخبار العدو، وقامت بمناوشته واستدراجه إلى أرض المعركة التي اختارها قطز، وعن ذلك يقول اليونيني: « وبعث الملك المظفر للأمير ركن الدين البندقداري في عسكر ليتجسس خبر التتر فلما وقعت عينه عليهم كتب إلى الملك المظفر ليعلمه بوصولهم ثم انتهز الفرصة في مناوشتهم ليكون له اليد البيضاء عند الإسلام فلم يزل يستدرجهم تارة بالإقبال وتارة بالإحجام حتى وافى بهم إلى الملك المظفر على عين جالوت... »[3]، شمال فلسطين، وهي أرض سهلية تحيط بها الجبال التي تم استغلالها في إخفاء الجيش الحقيقي[4].

وفي صباح يوم الجمعة 25 رمضان 658هـ/ 13سبتمبر 1260م شن الجيش المغولي الهجوم المتوقع على قلب و ميسرة الجيش المملوكي، بينما كانت ميمنة الجيش متخفية في الأدغال والأحراش المحيطة بعين جالوت، ولم تتمكن خيالة المغول من اختراقها نظراً لكثرة السواقي وكثافة الغطاء النباتي وعدم درايتهم بالمنطقة، وتم التمهيد لهذا الهجوم بضرب كثيف بالسهام، وتعرضت ميسرة الجيش المملوكي للضغط الشديد «فانكسرت ميسرة المسلمين

---

[1] هاني الجزار ، مرجع سابق، ص156.

[2] العسلي، مرجع سابق ، ص 241.

[3] اليوننيني ، ذيل مرآة الزمان ، ج1،ص ص365 366.

[4] الجزار،مرجع سابق ، ص 156.

كسرة شنيعة»[1] وانسحبت بعض الشيء إلى الوراء، فقام قطز بإمدادها بقوات من القلب مكنتها من الثبات، هذا بالنسبة للثبات المادي.

أما الثبات المعنوي فيتجلى في إلقاء قطز خوذته من رأسه على الأرض وصاح صيحته الموفقة " **وا إسلاماه**" «وحمل بنفسه وبمن معه حملة صادقة فأيده الله بنصره»[2]، ولجأ قطز إلى استخدام الخطة البديلة بتظاهر قلب الجيش بالفرار في حين بقيت الميسرة في مكانها فاندفع الجيش المغولي باتجاه الفرقة الفارة التي فتحت ثغرة مكنت من تطويق التتار ومحاصرتهم من قبل الميمنة التي لم تشترك في القتال وسد الثغرة مما مكن من الإطباق عليهم، من ثلاث جهات بعدما اتخذ قلب الجيش المملوكي بقيادة بيبرس مكانا في الخلف، وتعرض الجيش المغولي لهجوم شديد واختل توازنه نتيجة المباغتة التي لم يتوقعها، فتشتت فرقه التي ولت الأدبار باتجاه التلال المحيطة ببيسان، ولحقتها فرسان الجيش المملوكي التي أنزلت بالمغول هزيمة ساحقة وقتل قائدهم 101تبغ انوين[3]، وحاول بعدها المغول تجميع قواتهم من جديد في بيسان فشبت هناك معركة أخرى يصفها المقريزي بأنها أشد وأعظم من الأولى:« وكان قد تزلزل المسلمون زلزالا شديداً فصرخ السلطان صرخة عظيمة سمعه معظم العسكر وهو يقول: وا إسلاماه ثَلَاث مرَّات يا الله انصر عبدك قطز على التتار.. » [4]، و انتهت المعركة بانكسار المغول والفرار إلى الشام أين تمت مطاردة فلولهم وإخراجهم من معظم المناطق الشامية[5].

وبالنسبة لتعداد الجيش المملوكي في هذه المعركة بلغ ثلاثة أضعاف الجيش المغولي إذ بلغ عشرة آلاف فارس وهم خليط من جند مصر والشام و الأكراد والعربان[6] الذين بلغ

---

[1] اليونيني، مصدر سابق ، ج1،ص361.

[2] المقريزي، السلوك، ج1، ص516.

[3] كاتبغا نوين: أحد قادة المغول الكبار وهو نائب هولاكو وصهره، أما لفظ نوين فهو أحد الألقاب يطلق على كافل (نائب) الممالك بمملكة المغول الإلخانيين، بيبرس المنصوري، مختار الأخبار، مصدر سابق، هامش رقم 1، ص 11.

[4] المقريزي، السلوك، ج1، ص517.

[5] إسرائيليان،المرجع السابق، ص ص 230 ،231.

[6] المرجع السابق، ص230. الجزار، المرجع السابق، ص 158.

تعدادهم هم وعساكر مصر لوحدهم أربعين ألفاً[1] ، أما بالنسبة للأسلحة المستخدمة الفردية الهجومية والدفاعية مثل: الأقواس والرماح والترس و الدروع والخوذات فكانت متشابهة في كلى الجيشين،أما الأسلحة الجماعية كالمنجنيق فكان متفوقاً عند الجيش المغولي[2]، ومن بين نقاط الضعف في الجيش المغولي أنهم لا يجيدون قتال الرماح بالمطاعنة، مقارنة بتفوقهم في قتال النشاب[3] .

وجدير بالإشارة إلى انفراد جيش المماليك البحرية باستخدام مكاحل أو مدافع البارود في قتالهم، التي استخدموها لأول مرة في معركة المنصورة ضد الصليبيين كما سبقت الإشارة في المبحث الثاني من البحث، ويرى محمود فهيم إلى أن هذا السلاح ظل سرياً إلى أن استخدمه المماليك البحرية للمرة الثانية أثناء معركة عين جالوت وحقق ما سماه المفاجأة الإستراتيجية، وكان من بين أسباب انتصارهم فيها [4]، ويُرجع سبب ندرة الإشارة إلى هذا السلاح في المصادر المعاصرة لمعركة عين جالوت إلى طابع السرية والأمن بالنسبة لسلاح استراتيجي جديد الإختراع في تلك الفترة، إلا أن المماليك استهانوا بقيمة هذا السلاح في جهادهم الذي تمسكوا خلاله بسلاح السنة النبوية وهو الجهاد في سبيل الله بالسيف، وأهملوا التدريب على استعماله أو تطويره وتركوا استخدامه إلى فئة أولاد الناس مما كان سبباً في القضاء التام على دولتهم لاحقاً من قبل العثمانيين [5].

**2)معركة حمص 680هـ/ 1281م:**

وقعت هذه المعركة زمن السلطان قلاوون الألفي وتعد من بين المعارك الكبرى التي لا تقل أهمية عن معركة عين جالوت، وعرفت هذه الوقعة أكبر تحالف بين المغول والصليبين، إذ ضم

---

[1] ابن إياس، بدائع الزهور،ج1، 305.

[2]إسرائيليان ، المرجع السابق، ص 230.

[3]نفس المرجع، ص 158.

[4] فهيم، المرجع السابق، ص 177.ص180 .

[5] فهيم، المرجع السابق، ص ص . 180.

الجيش المغولي أكثر من ألف من الكرج [1]والأرمن الذين كان يقودهم ليو الثالث ملك قليقية ومعه جند من الاسبتارية الذين كانوا في ميمنة الجيش المغولي[2].

و كان عدد جند التتار مائة ألف فارس[3]، أما تعداد الجيش المملوكي البحري بلغ أربعة آلاف بقيادة السلطان قلاوون[4]، الذي أمر بلف السناجق على الرماح حتى لا يُعرف مكانه وبقي في عدد يسير من الجند مقداره ثلاث مائة فارس [5]، وهذا التكتيك يدخل ضمن إستراتيجية التمويه والخداع للعدو التي اتبعها جيش المماليك البحرية ضد أعدائه.

واستخدم الجيش المملوكي البحري نفس الإستراتيجية القتالية التي استخدمها في عين جالوت[6]، حيث التقى الجيشان صباح يوم الخميس 14رجب 680هـ/ أكتوبر 1281م، في المنطقة الممتدة بين ضريح خالد بن الوليد في حمص وبين الرستن، وبدأت المعركة بهجوم قوي من المغول على ميمنة جيش المماليك البحرية، الذين ثبتوا على الرغم من ذلك، إذ انقضوا على ميسرة الجيش المغولي فهزموها ، ثم سرعان ما شن الجيش المملوكي هجوما على كلى الجناحين في الجيش المغولي فانهزم و لاذ بالفرار، بعد أن وقع مقدم الجيش المغولي من جواده

---

[1]الكرج: إحدى القرى التابعة لمدينة أصبهان تقع بين أربعة جبال ، منها إلى مدينة أصبهان ستون فرسخاً أهلها قوم من العجم، إلا من كان من آل عيسى بن إدريس العجلي ومن انضوى إليه من سائر العرب، احمد بن إسحاق اليعقوبي، البلدان، د . ت ، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2002م، ص ص 83 . 84.

[2]سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث، أطلس تاريخ العصر لمملوكي،مرجع سابق،ص 74. إسرائيليان، المرجع السابق ، ص 233.

[3]ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، ج 13، ط1، دار إحياء التراث العربي، د . ذ . م . ن، 1988، ص 344، أبو بكر ابن أيبك الدوادار،، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: أولرخ هارمان، ج8، د . ط، الناشر: عيسى البابي الحلبي، بيروت، 1971م، ص 242 .

[4]إسرائيليان، المرجع السابق، ص 233.

[5]ابن أيبك الدوادار، المصدر السابق،ص ص 242، 243.

[6]إسرائيليان، المرجع السابق ، ص 234.

منكو تمر بن هلاوون أخو أبغا بن هولاكو[1] و جرح في هذه الوقعة[2]، أما عن الأسلحة المستخدمة فكانت السيف والدبوس والسهم والنشاب[3].

### 3)معركة مجمع المروج 699هـ/ 1299م:

وتعرف هذه المعركة أيضاً باسم وقعة الخازندار[4] وقعت أحداثها في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون أثناء فترة حكمه الثانية في 27 ربيع الأول 699هـ/1299م، وتجدر الإشارة إلى أن العلاقات بين المغول والمماليك اتسمت بالعدائية على الرغم من دخول خانات المغول في الدين الإسلامي، وتعد هذه المعركة الوحيدة التي انهزم فيها جيش دولة المماليك البحرية أمام المغول، وذلك لعدة أسباب منها:

– معرفة المغول بأسلوب قتال المماليك عن طريق الأمراء الفارين إلى دولة إلخانات المغول أمثال سيف الدين قبجق وغيره.

– اختار غازان خان المغول[5] الوقت المناسب كما أعد لها الإعداد الجيد، ومهد لها بعقد معاهدات مع ملوك أوروبا في الغرب[6].

– كان الوضع السياسي في مصر مضطرب نتيجة سيطرة الأمراء على الحكم، مما ساهم في انهزام جيش المماليك البحرية وذلك ما عبر عنه أبو الفدا بقوله:«وكان سلار والجاشنكير هما

---

[1]ابن أيبك الدوادار، المصدر السابق، ص 243.

[2]ابن كثير، المصدر السابق، ص 345.

[3]إسرائيليان، المرجع السابق، ص ص 233، 234.

[4]الخازندار: نسبة إلى وادي الخازندار الواقع شمال شرق حمص بنحو فرسخي أو ثلاثة، وهو يقع بين حماه وحلب، الحسن بن أبي محمد الصفدي، نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك، تحقيق: عبد السلام تدمري، ط1، ج1، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2003م، هامش رقم 7، ص 180.أحمد حطيط، حروب المغول، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان ، 1994، ص71.

[5]غازان: أو قازان كلاهما صحيح واسمه محمود بن أرغون بن أبغا بن هولاكو، دخل في الإسلام سنة 694هـ/1295م، وأسلم معه كثير من عساكره، ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج8، ص ص 59 . 71.

[6]إسرائيليان، المرجع السابق،ص ص 234 . 235.

المتغلبان على المملكة، فداخل الأمراء الطمع، ولم يكملوا عدة جندهم، فنقص العسكر كثيراً مع سوء التدبير، ونحو ذلك من الأمور الفاسدة التي أوجبت هزيمة العسكر...»[1] .

– ولعل من بين الأمور الفاسدة التي تحدث عنها أبي الفدا تلك المؤامرة الفاشلة التي قامت بها طائفة الأويراتية[2]، للتخلص من السلطان الناصر محمد وأمرائه على رأسهم الأمير سلار وبيبرس الجاشنكير، وإعادة العادل كتبغا إلى الحكم[3]، وتسببت هذه المؤامرة في انتشار الفوضى وإرباك الجيش وفقدانه لتجهيزاته، مما أثر بالسلب على إعداده العدة اللازمة والخروج لملاقاة العدو[4]، فضلا عن انتشار الغلاء وسوء الأحوال المعيشية[5].

وفي هذه المعركة التي بلغ تعداد جند الجيش المملوكي فيها بضع وعشرون ألف فارس على قول المقريزي، و التتار في نحو مائة ألف فارس ولم يستخدم المماليك فيها الرماح بعد صدور الأمر بذلك إذ نودي في العساكر: « أن ارموا الرماح واعتمدوا على ضرب السيف والدبوس فألقوا رماحهم كلهم على الأرض»[6] ، كما تمكن غازان من هزيمة جيش المماليك الذي ولى الأدبار بعد فشل خطته بالهجوم باستخدام نار النفط التي انطفأت ، على الرغم من تمكن ميسرة الجيش المملوكي من دحر ميمنة جيش غازان، الذي ولى مدبراً لولا استدعائه لسيف الدين قبجق نائب دمشق الذي شجعه وحثه على الثبات، فحمل حملة واحدة على قلب الجيش المملوكي فلم يثبت، فانهزم والسلطان« يبكي ويبتهل ويقول: يا رب لا تجعلني كعباً

---

[1] أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، مصدر سابق، ج4، ص43.

[2] الأويراتية: وتعرف أيضاً باسم العويراتية وهم طائفة من المغول فرت من ملكهم غازان إلى مصر سنة 695هـ/1296م، وذلك في عهد السلطان العادل كتبغا الذي يرجع أصله إلى المغول، فأنزلهم منطقة الساحل بين عتليت وقاقول في فلسطين، الحسن الصفدي،المصدر السابق، ج1، هامش رقم 4، ص179. المقريزي، السلوك، ج2، ص 266.

[3] المقريزي، السلوك، ج2، ص317.

[4] محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص ص 239 . 240.

[5] المقريزي، السلوك، المصدر السابق، ص 318.

[6] نفس المصدر، ص319.

نحساً على المسلمين»[1]، وخشي غازان من ملاحقة المماليك ظنًا منه أنهم أعدوا له كميناً [2].

و تمكنت بعدها دولة المماليك البحرية من الثأر لهزيمة مجمع المروج وذلك في وقعة مرج الصُفر (شقحب)، التي كانت في 2 رمضان702هـ/1303م،و إخراج المغول من بلاد الشام[3] وكان من بين الأدباء والمؤرخين الذين حضروا المعركة شهاب الدين النويري، الذي يروي تفاصيلها كما عاينها[4].

**ب/ حروب المماليك البحرية ضد الصليبيين:**

إذا كانت حروب الجيش المملوكي ضد المغول صد لخطر جديد كان يستهدف الاستيلاء على مصر وبلاد الشام، فإن حروبهم ضد الصليبيين الخطر القديم الجاثم على الأراضي العربية منذ أواخر القرن 11م، هي بمثابة الفتح الإسلامي الثاني للمنطقة، والذي يهمنا ليس السرد التاريخي للأحداث وإنما الأساليب الإستراتيجية التخطيطية والقتالية التي اتبعها المماليك في هذه المرحلة من تاريخ الحروب الصليبية – طويلة الأمد – التي يطلق عليها مرحلة التحرير[5].

ومن الملاحظ أن أهم ما ميز إستراتيجية المماليك التخطيطية و القتالية ضد الصليبيين هو إتباع السلاطين المماليك منذ عهد الظاهر بيبرس لإستراتيجية القوة والعنف وذلك راجع لسبب رئيسي يتمثل في:

– سياسة الصليبيين في الشام التي تميزت بالمكر والتحالف مع المغول على حساب المماليك، فقد عمل الصليبيون بحكم موقعهم الجغرافي في الشام كمرشدين للجيوش المغولية التي اجتاحت الأراضي الشامية، وأطلعوا المغول بتحركات الجيش المملوكي في المنطقة المذكورة مما

---

[1] المقريزي، السلوك، ج2، ص 320.

[2] نفس المصدر، ص320.

[3] أحمد حطيط، مرجع سابق، ص ص 73 ، 74.

[4] للإطلاع على تفاصيل هذه المعركة ينظر النويري، نهاية الأرب، مصدر سابق، ج23، ص 30 وما بعدها.

[5] العسلي، المرجع سابق، ص 394.

ساعد في إحباط خططه في كثير من الأحيان، وذلك كان سبباً كافيا للتفكير في طردهم [1]، هذا من الناحية الإستراتيجية.

أما من الناحية التكتيكية فإن اعتماد الصليبين على القلاع والتحصينات الثابتة كمواقع دفاعية،جعل أعمال التحرير تحدث في إطار التطويق والحصار لكل قلعة أو مدينة بمعزل عن الأخرى، ووجد المماليك صعوبة كبيرة في اقتحام هذه المواقع مما جعل القادة يقومون بعملية التدمير الشامل للقلاع والحصون التي يتم تحريرها، كي لا تبقى رأس حربة وتعود فلول الصليبيين للاحتماء بها وتجميع قواتها من جديد، فاعتمد الظاهر بيبرس على هذه الإستراتيجية ثم جاء من بعده قلاوون واتبع الإستراتيجية ذاتها، ولما تولى الأشرف خليل وقام بتحرير ما بقي من القلاع [2]طور هذه الإستراتيجية بحيث حول مدن الساحل وقلاع السهل والجبال إلى أطلال متناثرة « مُحوِّلاً بذلك الصفحة الجغرافية لبلاد الشام إلى أرض محروقة تماماً، ومحرومة من وسائل العيش وسبل الحياة»[3].

و لعل هذه الإستراتيجية مستوحاة من تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع اليهود في المدينة المنورة حينما قام بمحاصرة حصونهم وتدميرها، وكذلك ما قام به الخليفة عمر بن الخطاب عندما أجلى اليهود من بلاد الحجاز، بشكل نهائي وطردهم إلى الشام.

وسنحاول إعطاء نموذج واحد على سبيل المثال لا الحصر يبرز إستراتيجية القتال المملوكي ضد الصليبيين، وهو فتح عكا آخر معاقل الصليبيين.

كان هذا الفتح زمن السلطان الأشرف صلاح الدين خليل بن السلطان سيف الدين قلاوون (689هـ/1290م- 693هـ/1293م)، فبعد أن استقر في الملك أقدم على إتمام ما عزم

---

[1] فهيم، المرجع السابق، ص183.

(2) يمكن الإطلاع في أخر هذا البحث على ترتيب كرنولوجي لعمليات الفتح التي قام بها المماليك منذ عهد السلطان الظاهر بيبرس إلى عهد الأشرف خليل، الملحق رقم 8 صفحة 130 .

[3]العسلي، المرجع السابق، ص 394.

عليه والده الذي توفي فجأة وهو فتح عكا [1]، وجاءت الفرصة مواتية حينما تعرض تجار المسلمين في عكا للاعتداء بالقتل ونهب أموالهم [2] ، فاستعد الأشرف للخروج إلى عكا بعد أن رفض استقبال سفارة حكومتها التي كانت تسعى إلى طلب العفو من السلطان وزج بالرسل في السجن[3].

ومن بين التجهيزات القتالية التي قام بها الأشرف إرساله لأمراء الشام يطلب منهم تجهيز الجند الذين كان المتطوعة أكثرهم حسب ما أشار إلى ذلك ابن تغري بردي ، وإعداد آلات الحصار وجمع الصناع والحجارين والنقابين (الذين يستخدمون لنقب أسوار الحصون والأبراج لإحداث ثقوب فيها)، ويدخل هذا الإجراء ضمن ما يسمى عسكريا بالحشد الإستراتيجي أو التعبئة القتالية، واستغرق خروجه من الديار المصرية ووصوله إلى عكا ما يقارب الشهر إذ خرج في الثالث من ربيع الأول سنة 690هـ /1291م، ووصل في الرابع من ربيع الثاني من السنة نفسها [4].

وكان المؤرخ أبو الفدا من المشاركين في هذا الفتح ، ويروي أنه من بين المجانيق التي استخدمت في حصار و ضرب عكا منجنيق ضخم يسمى المنصوري حمل على مائة عجلة، تم استيلامه من المظفر صاحب حماه وسُلمت له عجلة واحدة لحملها لأنه كان أمير عشرة[5]، كما نصبت العديد من أنواع المجانيق بلغ تعدادها إثنان وتسعون منجنيقاً [6] .

وأنجد أهل عكا صاحب قبرص الملك هنري الثاني الذي قدم على رأس مائة من الفرسان، وألفين من المشاة بالإضافة إلى عدد من المؤن والعتاد تحملهم أربعون سفينة، ورفع ذلك من معنويات الصليبيين في عكا فأشعلوا نيرانا عظيمة ليلية قدومه فرحا به، وعزم على الدفاع

---

[1] شهاب الدين النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، مصدر سابق، ج31، ص 195. ابن تغري بردي النجوم الزاهرة، مصدر سابق، ج8، ص5.

[2]ابن كثير، البداية والنهاية، مصدر سابق، ج13، ص 377.

[3]محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، مرجع سابق، ص203.

[4]ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج8، ص5.

[5]أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، مصدر سابق، ج4، ص 24.

[6]النويري، المصدر السابق، ج31، ص 198.

عن عكا بعد فشل المفاوضات التي شرع فيها مع السلطان الأشرف ، إلا أنه كانت تواجهه صعوبات منها[1]:

1- قلة المدافعين مع كثرة المهاجمين.
2- تجدد النزاعات الداخلية بين بعض أفراد الصليبيين.
3- نقص التجهيزات.

فلم يمكث سوى ثلاثة أيام ثم قفل راجعاً إلى بلاده تاركا عكا وأهلها يواجهون مصيرهم بأنفسهم[2].

أما عن إستراتيجية القتال فتمثلت في ضرب الحصار وإحكامه إذ استغرقت مدته أربعة وأربعين يوما[3]، وإحداث الثقوب في الأسوار للتمكن من العبور إلى داخل القلعة ، ويشير بيبرس المنصوري – الذي شهد المعركة- إلى أنه بالرغم من أن أهل عكا كانوا «يناوشون القتال من الأبواب بالخيل والرجال»[4] فإن جند المسلمين نجحوا في ردم الخندق المحيط بأحد أبراج عكا وعبروا إلى الداخل، وتمكنوا بذلك من إرباك العدو وإرهابه وزرع الهزيمة في نفوس جنده وأهل المدينة المحاصرة، وكان ذلك خاصة بضرب المدينة ضرباً مكثفاً بالمجانيق، ورفع السناجق (الأعلام) على أسوار وقلاع المدينة [5]، ويصف لنا ابن أيبك الدوادار هذه الإستراتيجية التي استخدمت في فتح عكا بقوله:« فزحف عليها بالجيوش بكرة النهار قبل طلوع الشمس، وضربت الكوسات مع طبلخانات الأمراء...مع صراخ الأبطال وصهيل الخيل وقعقعة السلاح. فخيل لأهل عكا أن القيامة قامت في تلك الساعة. فلم تطلع الشمس من الأبراج إلا والسناجق السلطانية الإسلامية ...[عليها]، والفرنج – خذلهم الله-

---

[1] طقوش، مرجع سابق، ص 203.

[2] ابن تغري بردي، المصدر السابق،ج8، ص6.النويري، ج31، ص199.

[3] ابن أيبك الدوادار، مصدر سابق، ج8، ص311. النويري، المصدر السابق ، ج31، ص199.

[4] بيبرس المنصوري، التحفة الملوكية في الدولة التركية: تاريخ دولة المماليك البحرية من 648هـ . 711هـ، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة/مصر، 1987م، ص 127.

[5] الجزار، مرجع سابق، ص 82.

قد ولوا الأدبار، وركنوا إلى الفرار، وركبوا المراكب طلباً للنجاة.»[1] . فقتل منهم خلق كثير نتيجة ازدحامهم باتجاه المراكب التي غرق بعضها بسبب الحمولة الزائدة، أما من بقي من أهلها ونجا من القتل فطلبوا الأمان من السلطان ففرق الرجال على الأمراء وقتلوا جميعاً[2]أما الأطفال والنساء فأصبحوا مماليك وجواري[3]. وهذا الأسلوب هو أشبه بما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم مع يهود بني قريظة في السنة الخامسة للهجرة، حينما حكم عليهم سعد بن معاذ بقتل الرجال، وسبي الأطفال والنساء، فضرب أعناق الرجال جميعاً، وقسَّم أموالهم ونسائهم وأبنائهم على المسلمين[4].

فسقطت عكا من خلال الإستراتيجية التي سبقت الإشارة إليها وأمر السلطان بتخريبها،ثم سقطت تباعا باقي الحصون –التي تعد عكا أُمُّهم على حد تعبير ابن أيبك– في المدن الساحلية المشهورة دون قتال وهي: صيدا،وبيروت،وعتليت،وأنطرسوس،وجبيل، وصور، وحيفا ، وأمر السلطان بهدمها جميعاً فلم يبق للصليبيين حصن ولا معقل[5]. ومن المصادفات أن تاريخ فتحها كان يوم الجمعة صادف تاريخ استيلاء الصليبيين عليها في عهد صلاح الدين في يوم الجمعة 17جمادى الثانية 587هـ/ 1191م[6].

### 2) الأسطول البحري ودوره في حروب المماليك ضد المغول والصليبيين:

وُصفت دولة المماليك بأنها دولة البرّين والبحرين والمقصود بالبر أرض مصر والشام، أما البحرين فهما البحر الأحمر والبحر المتوسط يضاف إليهما نهر النيل، وأدرك السلاطين المماليك أهمية إنشاء قوة بحرية لمواجهة خطر الصليبيين[7]، إلا أن ميراثهم من

---

(1) ابن أيبك الدوادار، مصدر سابق، ج8، ص308.النويري،المصدر السابق ، ج31، ص198.

(2)النويري، المصدر السابق،ج31، ص198.

(3)ابن أيبك الدوادار، مصدر سابق، ج8، ص310.

(4)ابن هشام، السيرة النبوية، تعليق: عبد السلام تدمري،د . ط، ج 3 . 4، دار الكتاب العربي، بيروت/لبنان، 2005، ص ص150. 152.

(5) ابن أيبك الدوادار، المصدر السابق،ج8، ص312.النويري، المصدر السابق،ج31، ص200 .

(6) ابن كثير، المصدر السابق، ج13، هامش رقم 5، ص 378.

(7)مفيد الزيدي، موسوعة التاريخ الإسلامي: العصر المملوكي، د . ط، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن، 2009، ص253 وما بعدها.

الأيوبيين في مجال القوة البحرية كان ضعيفاً، وذلك راجع إلى فقدان المسلمين لسيطرتهم على البحر المتوسط منذ قيام الحركة الصليبية وتمكن الصليبيين من السيطرة على جزره وسواحله خاصة في بلاد الشام[1]، ولعل أهمية امتلاك أسطول بحري قوي لم تتجلى عند سلاطين الدولة المملوكية الأولى إلا حينما تولى السلطان الظاهر بيبرس وفي ذلك يقول المقريزي:« لما انقرضت دولة بني أيوب وتملك الأتراك المماليك مصر، أهملوا أمر الأسطول إلى أن كانت أيام السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداريّ، فنظر في أمر الشواني[السفن] الحربية، واستدعى برجال الأسطول... »[2] .

ويبدو أن سبب عدم عناية السلاطين السابقين بالقوة البحرية ( شجر الدر و المعز أيبك والمظفر قطز) راجع بالأساس إلى الظروف التي رافقت تولي كل سلطان، فشجر الدر لم تحكم سوى أربعين يوماً، أما المعز أيبك التركماني فانشغل بالصراع مع الأيوبيين و نزاعه الداخلي مع فارس الدين أقطاي، وكانت نهايته على يد زوجته شجر الدر كما سبقت الإشارة إلى ذلك في المبحث الأول، أما المظفر قطز فانشغل بتجهيز جيشه البري لمواجهة خطر المغول الذي كان على أبواب مصر وسرعان ما قتل فلم تزد فترة حكمه عن السنة[3] .

يضاف إلى ذلك فإن قوة المماليك كانت برية بالأساس فهم في الأصل فرساناً وأصحاب خيل[4] ولعل ذلك ما يفهم من قول الظاهر بيبرس في رسالته التي بعث بها إلى ملك جزيرة قبرص بعد تحطم أسطوله بالقرب منها عندما قال :" وأنتم خيولكم المراكب ونحن مراكبنا الخيول"[5]، فضلا عن أنهم كانوا يعانون من نقص في مواد بناء الأساطيل خاصة خشب السفن الذي ظل يتناقص تدريجيا بسبب كثرة القطع و الاستغلال في

---

[1]السيد عبد العزيز سالم، أحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، د . ط، دار الأحد البحيري إخوان، بيروت/ لبنان،1972م، ص 294.

[2]المقريزي، الخطط، ج3، ص340.

[3]الجزار، المرجع السابق، ص 100.

[4]سالم، العبادي، المرجع السابق، ص295.

[5]نفس المرجع، ص 305.

مناطق توفره في جنوب دلتا مصر وصعيدها، وفي شبه جزيرة سيناء وغيرها إلى أن اختفى تماماً[1].

و يعتبر السلطان الظاهر بيبرس هو مؤسس الأسطول البحري لدولة المماليك البحرية، وليس أدل على ذلك إلا ما ذكره المقريزي من الاهتمام البالغ لهذا السلطان بأمر القوة البحرية، فكان يشرف بنفسه على ترتيب عمل السفن بدار الصناعة في مصر، كما أمر بذلك في ثغري الإسكندرية ودمياط، ومنع الناس من قطع الأخشاب ليستعملها في عمارة الأسطول الذي بلغ ما يزيد على الأربعين قطعة وعلى الرغم من تحطم أسطوله الذي سيره إلى قبرص سنة 669هـ/ 1271م، إلا أن ذلك لم يحبط من عزيمته على تملك أسطول قوي، فأمر بصناعة عشرين شونة وأحضر خمس شواني كانت بمدينة قوص بصعيد مصر، ولزم دار الصناعة بمصر إلى أن أعد ما كان يطمح إليه من قطع بحرية[2].

وحرص السلاطين الذين جاؤوا من بعده على تقوية الأسطول البحري، فعلى سبيل المثال لا الحصر أمر السلطان الأشرف خليل بإنشاء نحو ستين سفينة حربية وشحنها بالعدد وآلات الحرب وأمر باستعراضها أمام الناس ، كما سار الناصر محمد بن قلاوون على نهج سلفه فأصبح للمماليك قوة بحرية هائلة [3].

وبالنسبة لدور صناعة السفن فكانت متواجدة على ضفاف النيل وجزره المختلفة[4] ومن بينها نذكر بالإضافة إلى دار الصناعة بمصر(الفسطاط)، والإسكندرية ودمياط هناك أيضاً دار الصناعة في الجزيرة الوسطى تقع في وسط النيل بين جزيرة الروضة بر الجيزة

---

[1] سالم، العبادي، المرجع السابق،ص 295.

[2] المقريزي ،الخطط، ج3، ص340. سالم، العبادي، المرجع السابق، 296.

[3] نفس المصدر، ج3،ص341.علي إبراهيم حسن، دراسات في تاريخ المماليك البحرية، مرجع سابق، ص 317.

[4] سالم، العبادي، المرجع السابق، ص226.

وبولاق، وبر القاهرة وتعرف أيضاً بجزيرة أروى[1]، وكانت هذه الدور مزودة بأصحاب الحرف والصناع المتخصصين في بناء السفن كالنجارين والحدادين وغيرهم[2].

وبالنسبة للسفن التي امتلكها الأسطول المملوكي فهي كثيرة ومتنوعة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر[3]:

الشواني[4] ، والحراريق[5]، والطرادات[6]، والأغربة[7] ،والبطس[8]والقراقير[9].

كما تم الاهتمام كذلك بتدريب عناصر الجيش المملوكي على السباحة، والغوص تحت الماء والهدف من ذلك استخدامهم كوحدات خاصة للقيام بمهمات حربية على

---

[1]إسرائيليان ، مرجع سابق، ص ص 160، 161.

[2]سالم، العبادي، المرجع السابق، ص226.

[3] للإطلاع أكثر على مختلف أنواع السفن التي تكون منها الأسطول المملوكي ينظر إسرائيليان، مرجع سابق، ص ص161. 164.

[4]الشواني: مفردها شيني أو شوني أو شنة وهي من القطع الأساسية التي يتكون منها الأسطول، إذ هي عبارة عن مراكب حربية تقام فيها الأبراج والقلاع للدفاع والهجوم، وهذه الأبراج مكونة من عدة طبقات يقف في الطبقة العليا الجند المسلحون بالقوس والسهام، وفي الطبقة السفلى الملاحون بالمجاديف، وتحتوي على مخازن لخزن المؤن والطعام، أحمد مختار العبادي، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، مرجع سابق، هامش رقم 3، ص 181.

[5] الحراريق: هي سفن حربية أقل حجماً من الشواني تستخدم في حمل الأسلحة النارية كالنار الإغريقية ، بها مواضع خاصة تلقى منها النيران، ويظهر من اسمها أنها كانت تستخدم لإحراق سفن العدو. صفاء سعيد الهندي، تقنية الأسلحة الأيوبية والمملوكية وتطورها، رسالة ماجستير في الآثار، إشراف: صفوان خلف التل،كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية،2001، ص74.

[6] الطرادات: سفن حربية صغيرة الحجم، سريعة الحركة تستعمل لحمل الخيول بحيث تتسع لثمانين فرساً، هاني الجزار، هامش رقم 6، ص 102.

[7] الأغربة أو الغربان: مفردها غراب نقله المماليك عن القرطاجيين والرومان، وتسمى كذلك لأن مقدمتها تشبه رأس الغراب، ومن خصائصه أنه كان مزوداً بجسر من الخشب يهبط على مركب العدو ليمر عليه الجند والقتال بأساليب الحرب البرية، صفاء الهندي،المرجع السابق، ص 74.

[8] البطس: مفردها بطسة وهي نوع من المراكب الكبيرة ، قد يصل عدد الأشرعة فيها إلى أربعين شراعاً، وتتسع لحمل ما يقارب 700مقاتل، كما تستخدم لحمل المجانيق ومختلف أنواع الأسلحة والذخيرة،وهي مكونة من طبقات، وكانت تتخذ فيها الأبراج الضخمة الشبيهة بالقلاع، صفاء الهندي، المرجع السابق، ص75.

[9] القراقير: وهي من السفن الكبيرة التي كانت تستعمل في تموين الأسطول بالزاد والمتاع والذخيرة، ومنها ما له ثلاثة ظهور، إسرائيليان،المرجع السابق، ص162.

السواحل الإسلامية الخاضعة للسيطرة الصليبية[1]، ومما يذكر في ذلك من الطرائف أثناء الحملة الصليبية السابعة على مصر اتبع الجنود المسلمون مختلف الحيل الممكنة لأسر الفرنجة أو قتلهم، ومنها أن أحد المسلمين أفرغ بطيخة وأدخل رأسه فيها وغطس في نهر النيل باتجاه معسكر الصليبيين فظنوه بطيخة فنزل أحدهم إلى الماء لأخذها، فخطفه المسلم وعام به إلى جهة المسلمين[2].

وعلى الرغم من أن دور القوة البحرية المملوكية لا يذكر تماماً في الفتوحات الشامية التي قام بها الظاهر بيبرس وقلاوون الألفي والأشرف خليل مقارنة بحجم العمليات البرية وضخامتها في تلك الفتوحات، إذ يلاحظ أن البحرية الإسلامية على سبيل المثال أثناء فتح عكا لم تقم بقطع الطريق أمام الصليبيين الفارين منها عن طريق البحر وذلك ما كان أيضاً في الفتوحات التي سبقت لفتح عكا[3]، ومع ذلك فالأسطول الحربي لدولة المماليك البحرية أدى دوراً لا يقل أهمية عن الدور الذي اضطلعت به القوات البرية في إدارة المعركة مع المغول والصليبيين، فمثلا تمكن الظاهر بيبرس من النجاح في تحقيق المبادأة التكتيكية والمناورة بسفن محمولة براً على ظهور الجمال إلى نهر الفرات لكي تعبر بواسطتها قواته، وذلك حينما قرر ملاقاة المغول في أرضهم فعبر جيشه النهر بالطريقة المذكورة، وحقق انتصاراً على الجيوش المغولية وطارد فلولها في الأراضي العراقية سنة 670هـ/ 1272م[4].

وهذا الأسلوب سبقت الإشارة إليه عندما استخدم من قبل في موقعة فارسكور حينما قطع جيش المسلمين المؤونة وخط الرجعة على جيش لويس التاسع إلى دمياط، من خلال حمل المراكب مفككة وأنزلوها وراء خطوط الصليبيين في نهر النيل من جهة المنصورة، وتمكنوا بذلك من هزيمة الجيش الصليبي[5].

---

[1] الجزار، مرجع سابق، ص101.

[2] المقريزي، السلوك، ج1، ص447.

[3] سالم، العبادي، المرجع السابق، ص307.

[4] إسرائيليان،المرجع السابق، ص 166، سالم، العبادي، المرجع السابق، ص 305.

[5] ينظر المبحث الأول من هذا البحث.

ومن بين انجازات البحرية المملوكية فتح جزيرة أرواد المقابلة للساحل الشرقي من بلاد الشام[1]، إذ كان بها الصليبيون يغيرون على السواحل- بعد طردهم – من حين لآخر، «فكانت من أضر الأماكن على أهل السواحل»[2]، مما أزعج نائب السلطنة بالشام ، وأرسل إلى السلطان الناصر محمد بن قلاوون يطلب المعونة لفتح الجزيرة، فجهز أسطولاً وضم إليه جيش طرابلس وسيره إلى الجزيرة التي فتحها وخربت أسوارها ، وكان ذلك في سنة 702هـ/ 1302م[3].

من خلال ما سبق نستنتج بأن إدارة المماليك البحرية لمعاركهم مع المغول والصليبيين انبنت على أسس دينية، انطلاقا من مبدأ الجهاد في سبيل الله ،كما استمدت قاعدتهم الجهادية من الإرث الإسلامي السابق لهم ، فجهادهم ضد المغول والصليبيين يندرج ضمن المبدأ الذي اتخذه الزنكيون والأيوبيون كأساس لقيام دولهم، ويأتي دور المماليك البحرية كمرحلة نهائية لتحقيق الهدف الذي سعى إليه نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي وهو طرد الصليبيين المعتدين على أرض الإسلام والمسلمين، كما يُحسب للمماليك البحرية دورهم التاريخي في إيقاف زحف جحافل المغول الذين لو لم يتمكن منهم المماليك في عين جالوت لكان مصير الإسلام والمسلمين هو الأسوأ على الإطلاق منذ بزوغ فجر الإسلام.

---

[1] جزيرة أرواد: جزيرة صغيرة تقع في الجهة الشمالية من طرابلس الشام، على بعد 50كلم، طولها 800 متر، وعرضها 500 متر، وهي في الجانب الغربي من أنطرسوس (طرطوس) على بعد ثلاث كيلومترات، النويري، مصدر سابق، ج32، هامش رقم 1، ص21.

[2] ابن كثير، مصدر سابق، ج14، ص 25.

[3] شفيق جاسر أحمد محمود، "المماليك البحرية وقضاؤهم على الصليبيين في الشام"، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد: 81 . 82، جمادى الثانية 1409هـ، ص136.

**الخاتمة:**

من خلال البحث في المعركة عند دولة المماليك البحرية، تم التوصل إلى النتائج التالية:

- هناك فرق بين مفهومي المماليك والرقيق فهذا المصطلح الأخير يطلق على العبيد الذين سبي آباؤهم وهؤلاء موجهون إلى الخدمة المنزلية ومختلف أعمال السخرة، أما مصطلح المماليك فيطلق على الرقيق الأبيض الذين تم سبيهم ولم يسب آباؤهم، وهؤلاء موجهون بالأساس إلى الخدمة العسكرية، وهم خليط من الأجناس والشعوب الآسيوية التي تقطن ببلاد ما وراء النهر، ومن بينهم العنصر التركي الذي تمكن من بث نفوذه في أوصال الدولة الإسلامية، إلى أن استطاع اعتلاء مقاليد الحكم كما هو الحال في مصر وبلاد الشام.
- ساهمت مجموعة من الظروف والعوامل السياسية والعسكرية في صعود المماليك إلى السلطة منها ما هو مرتبط بالظروف الداخلية لمصر وبلاد الشام، خاصة ما تعلق بأحوال الدولة الأيوبية التي كانت تعيش آخر أدوارها، نتيجة الضعف والتراجع الذي دب في أوصالها، ومنها ما هو متعلق بالظروف الخارجية المتمثلة أساساً في الأخطار المحدقة بالمنطقة من الصليبيين أو المغول على حد سواء، إذ لم توجد قوة أخرى غير قوة المماليك في التصدي لهذين الخطرين.
- استطاعت دولة المماليك البحرية استثمار انتصاراتها العسكرية المحققة ضد الصليبيين والمغول، في المنصورة وفارسكور وعين جالوت، وتمكنت من تثبيت دعائم سلطنتها الناشئة على حساب الدولة الأيوبية، كما تمكنت من إضفاء طابع الشرعية على حكمها بحصول سلاطين المماليك على اعتراف وتقليد من الخلافة العباسية في بغداد من جهة، وبإعادة إحياء تلك الخلافة في مصر من جهة أخرى، بعد أن قضى عليها المغول عند اجتياحهم بغداد سنة 656هـ/ 1258م .

- تعتبر النظم العسكرية لدى المماليك البحرية(تربية وتنشئة المماليك، أساليب التدريب، الإقطاع الحربي، المراتب والوظائف العسكرية...إلخ)، نتاجاً لأنظمة الدول التي سبقت عهدهم كالسلاجقة والأيوبيين وحتى الفاطميين،إلا أنه في عهدهم تطورت هذه النظم واكتملت وبلغت أوجها.
- خضع نظام التربية والتدريب عند المماليك البحرية على وجه التحديد إلى الصرامة والجد، وعدم التساهل وذلك هو سر قوة الدولة في عهودها الأولى (دولة المماليك البحرية)، ولما أُهمل هذا النظام في عهد الدولة الثانية (البرجية) ساءت أحوال الدولة مما عجّل بزوال عهد المماليك على أيدي العثمانيين كما هو معروف.
- قامت تربية المماليك على أسس دينية، وذلك لما للدين من تأثير فعال على النفوس وشحذ الهمم لمواجهة الأعداء، كالحرص على تعليم المماليك – الذين جيء بهم من بلاد العجم – وهم صبيان القرآن الكريم، واللغة العربية والخط، والتمرن بآداب الشريعة وملازمة الصلوات والأذكار والتخلق بآداب الإسلام ، هذا يجعلنا نقف هنا وقفة لنتساءل عن حال هذا الجانب في جيوشنا العربية الإسلامية اليوم؟
- يعتبر الإقطاع العنصر المميز في المؤسسة العسكرية المملوكية، لأنه المورد الأول والأساسي للإنفاق على الجيش السلطاني، وكبار الأمراء فكانت الأرض ملكاً للسلطان وجنده حسبما ذكر المقريزي، مما يطرح التساؤل عن طبيعة العلاقة بين الحكام الذين هم المماليك الغرباء عن أرض مصر وبلاد الشام، وبين المحكومين الذين هم أصحاب الأرض الحقيقيين؟
- تميزت المؤسسة العسكرية المملوكية بالتنظيم الإداري المحكم مما يدل على مدى جدية السلاطين المماليك في العناية بهذه المؤسسة باعتبارها سبباً في وجود

دولتهم واستمرارها، و هناك العديد من الإجراءات والتدابير التي اتبعها السلاطين أثناء تربيتهم للمماليك؛ هي أشبه بما هو متبع اليوم في النظم العسكرية الحديثة، من ذلك نذكر ما مر بنا على سبيل المثال لا الحصر: الفحص الطبي للتأكد من سلامتهم الصحية، وكذلك وُجدت العديد من الوظائف الحربية هي أقرب في مهامها من الوظائف المعروفة في المؤسسات العسكرية للدول الحديثة، مثل صاحب الحجاب التي تشبه مدير إدارة القضاء العسكري في القوات المسلحة، قاضي العسكر يقابلها القضاء العسكري، رأس النوب تمثل رئيس هيئة التنظيم والإدارة بالقوات المسلحة... وغيرها من الوظائف التي تحدثنا عنها في هذا البحث.

- تميزت العلاقة بين المملوك وسيده برابطة مميزة عُرفت بالأستاذية، في حين كانت تربط المماليك مع بعضهم البعض علاقة الزمالة التي تعرف بالخشداشية، فكانوا يؤمنون بمساواتهم جميعاً في الأصل والنشأة والحق والواجب، وذلك ما يفسر لنا رغبة كل أمير قوي في تولي منصب السلطنة بعد السلطان المتوفى مما تسبب في التنافس والصراع بين الأمراء ، أثر على استقرار النظام السياسي طوال فترة حكم المماليك، كما انعكس بالسلب أحياناً كثيرة في مواجهة المغول والصليبيين، ومن المفارقات العجيبة أن الأمراء المتصارعين فيما بينهم كثيراً ما وحدتهم الأخطار الخارجية المحدقة بالدولة، والأمثلة كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: استجابة الأمير بيبرس البندقداري الذي فر إلى الشام بعد مقتل فارس الدين أقطاي، للمظفر قطز وعودته إلى مصر ، بحيث تم تناسي الخلافات بينهما ولو بشكل مؤقت والعمل معاً لمواجهة المغول في عين جالوت.
- ما نستنتجه أيضاً أن الدولة المملوكية كانت تصنع سلاحها بنفسها، إذ ضمت بيوت السلاح (السلاح خاناه) الصناع وأهل الخبرة ، فضلاً عن الأسلحة

بأنواعها المختلفة بما فيها مكاحل أو مدافع البارود؛ هذا السلاح الذي انفرد بامتلاكه جيش المماليك البحرية وحقق المفاجأة الإستراتيجية في معاركه ضد أعدائه خاصة في عين جالوت، ولعل صناعة أي دولة لأسلحتها هو سر قوتها بشكل عام وهذه قاعدة صالحة لكل زمان ومكان، فما أحوج أمتنا ودولنا الإسلامية اليوم إلى إنتاج سلاحها بنفسها حتى لا تبقى مرهونة بأسلحة الدول الأخرى، غير أن المماليك الذين كانوا فرساناً استهانوا بقيمة سلاح البارود وأهملوا التدريب عليه وتطويره، تركوا استخدامه لفئة أولاد الناس، واقتصروا في معاركهم على الأسلحة التقليدية المعروفة في العصور الوسطى كالسيف وغيره مما كان سبباً في زوال دولتهم.

- تبين كذلك احترافية الجيش المملوكي البحري في اعتماد استراتيجيات وتكتيكات متعددة ومتنوعة في إدارة الحروب مع أعدائهم؛ تتناسب وطبيعة الموقف و حسب كل عدو، بدءً باتخاذ قرار الحرب الذي لم يكن ارتجالياً بل هو مدروس من طرف مجلس الحرب الذي يرأسه السلطان وعضوية كبار الأمراء والخليفة وقضاة المذاهب الأربعة، مروراً بالتجهيزات القتالية وتعبئة الجيوش وتنظيمها، وانتهاءً بالخطط وخوض المعارك في الميدان.
- انطلقت الإستراتيجية العسكرية للجيش المملوكي البحري من أسس الدين الإسلامي في التعامل مع أعدائهم سواء بالنسبة للمغول الذين دخلوا الإسلام إلا أن العداء السياسي مع دولة المماليك البحرية ظل مستحكماً بينهما، أو بالنسبة الصليبيين الذين حاولوا الاستفادة من المغول والتحالف معهم للقضاء على دولة المماليك، لذلك انتهج سلاطين هذه الدولة معهم نفس السياسة التي اعتمدها النبي صلى الله عليه وسلم مع اليهود في المدينة المنورة، المتمثلة في التدمير الشامل لحصونهم واستئصالهم من معاقلهم، وإجلائهم الذي تم بشكل نهائي في

عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وذلك ما حدث للصليبيين في بلاد الشام، غير أن المماليك كانوا بعيدين كل البعد في الاقتداء بمنهج الحكم الإسلامي الذي أوصى به النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بإتباعه وهو الشورى، ولو أنهم طبقوه لغيروا مجرى التاريخ.

- أما عن دور الأسطول البحري الذي بدأ الاهتمام بأمره منذ عهد السلطان الظاهر بيبرس والسلاطين الذين جاؤوا من بعده، فيبدو أنه كان له دور مساعد في إدارة الحرب البرية مع الأعداء من خلال نقل المراكب مفككة على ظهور الجمال؛ وحملها إلى مناطق العبور النهرية سواء النيل أو نهر الفرات لتسهيل عبور الجند إلى الضفة الأخرى ومواجهة المغول داخل أراضيهم، كما كان للقوة البحرية دورها أيضا في مواجهة الصليبيين وتحرير جزيرتي أرواد وقبرص من الصليبيين.

وما يمكن التوصية به في الأخير هو فتح المجال للمزيد من البحث في جزئيات التاريخ العسكري المملوكي، لأن الوقوف على مختلف الإستراتيجيات العسكرية لجيش المماليك البحرية يتطلب دراسة مستفيضة ومعمقة لكل المعارك التي خاضها هذا الجيش مع أعدائه، فضلاً عن دراسة سلبيات هذا الجيش ، وكذلك البحث في التاريخ العسكري الإسلامي بشكل عام، لنقف على انجازات المسلمين و إخفاقاتهم ونعيد دراستها دراسة خالية من العواطف، تمكن الأجيال القادمة من معرفة ما قام به أسلافنا من المسلمين في العصور الوسطى للإفادة منه في المستقبل.

# الملاحق:

ملحق رقم (1):أسماء سلاطين المماليك[1]

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

# ملحق

## سلاطين المماليك
### أ ـ دولة المماليك البحرية
### ٦٤٨ ـ ٧٨٤هـ/١٢٥٠ ـ ١٣٨٢م

| | |
|---|---|
| شجرة الدُّر | ٦٤٨هـ/ ١٢٥٠م |
| المعز عز الدين أيبك | ٦٤٨ ـ ٦٥٥هـ/ ١٢٥٠ ـ ١٢٥٧م |
| المنصور نور الدين علي | ٦٥٥ ـ ٦٥٧هـ/ ١٢٥٧ ـ ١٢٥٩م |
| المظفر سيف الدين قطز | ٦٥٧ ـ ٦٥٨هـ/ ١٢٥٩ ـ ١٢٦٠م |
| ركن الدين بيبرس البندقداري | ٦٥٨ ـ ٦٧٦هـ/ ١٢٦٠ ـ ١٢٧٧م |
| السعيد ناصر الدين محمد بركة خان | ٦٧٦ ـ ٦٧٨هـ/ ١٢٧٧ ـ ١٢٧٩م |
| العادل بدر الدين سلامش | ٦٧٨هـ/ ١٢٧٩م |
| المنصور سيف الدين قلاوون | ٦٧٨ ـ ٦٨٩هـ/ ١٢٧٩ ـ ١٢٩٠م |
| الأشرف صلاح الدين خليل | ٦٨٩ ـ ٦٩٣هـ/ ١٢٩٠ ـ ١٢٩٣م |
| الناصر ناصر الدين محمد: المرة الأولى | ٦٩٣ ـ ٦٩٤هـ/ ١٢٩٣ ـ ١٢٩٤م |
| العادل زين الدين كتبغا | ٦٩٤ ـ ٦٩٦هـ/ ١٢٩٤ ـ ١٢٩٦م |
| المنصور حسام الدين لاجين | ٦٩٦ ـ ٦٩٨هـ/ ١٢٩٦ ـ ١٢٩٩م |
| الناصر ناصر الدين محمد: المرة الثانية | ٦٩٨ ـ ٧٠٨هـ/ ١٢٩٩ ـ ١٣٠٩م |
| المظفر بيبرس الجاشنكير | ٧٠٨ ـ ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩ ـ ١٣١٠م |
| الناصر ناصر الدين محمد: المرة الثالثة | ٧٠٩ ـ ٧٤١هـ/ ١٣١٠ ـ ١٣٤٠م |
| المنصور سيف الدين أبو بكر بن الناصر محمد | ٧٤١ ـ ٧٤٢هـ/ ١٣٤٠ ـ ١٣٤١م |
| الأشرف علاء الدين كجك بن الناصر محمد | ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م |
| الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد | ٧٤٢ ـ ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م |
| الصالح عماد الدين إسماعيل بن الناصر محمد | ٧٤٣ ـ ٧٤٦هـ/ ١٣٤٢ ـ ١٣٤٥م |
| الكامل سيف الدين شعبان بن الناصر محمد | ٧٤٦ ـ ٧٤٧هـ/ ١٣٤٥ ـ ١٣٤٦م |
| المظفر زين الدين حاجي بن الناصر محمد | ٧٤٧ ـ ٧٤٨هـ/ ١٣٤٦ ـ ١٣٤٨م |
| الناصر أبو المحاسن حسن بن الناصر محمد: المرة الأولى | ٧٤٨ ـ ٧٥٢هـ/ ١٣٤٨ ـ ١٣٥١م |
| الصالح صلاح الدين بن محمد بن الناصر محمد | ٧٥٢ ـ ٧٥٥هـ/ ١٣٥١ ـ ١٣٥٤م |
| الناصر أبو المحاسن حسن بن الناصر محمد: المرة الثانية | ٧٥٥ ـ ٧٦٢هـ/ ١٣٥٤ ـ ١٣٦١م |
| المنصور صلاح الدين محمد بن حاجي | ٧٦٢ ـ ٧٦٤هـ/ ١٣٦١ ـ ١٣٦٣م |



[1] محمد سهيل طقوش، تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام، ص575.

ب . دولة المماليك البرجية ( الدولة الثانية)[1]

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

| | |
|---|---|
| الأشرف أبو المعالي زين الدين شعبان بن حسين | ٧٦٤ ـ ٧٧٨هـ/ ١٣٦٣ ـ ١٣٧٧م |
| المنصور علاء الدين علي بن شعبان بن حسين | ٧٧٨ ـ ٧٨٣هـ/ ١٣٧٧ ـ ١٣٨١م |
| الصالح صلاح الدين حاجي بن شعبان بن حسين | ٧٨٣ ـ ٧٨٤هـ/ ١٣٨١ ـ ١٣٨٢م |

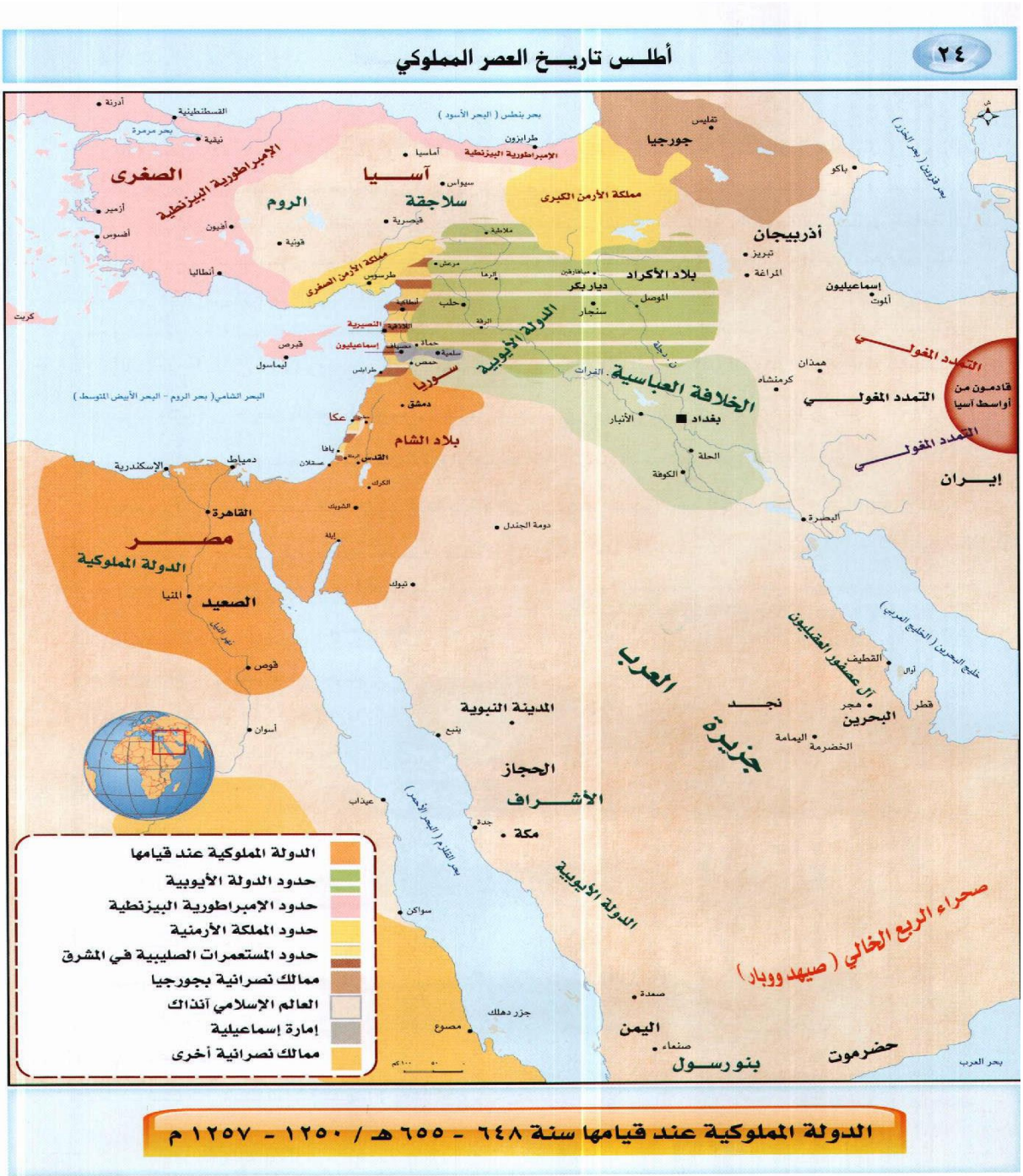
## ب ـ دولة المماليك البرجية
## ٧٨٤ ـ ٩٢٣هـ/١٣٨٢ ـ ١٥١٧م

| | |
|---|---|
| الظاهر سيف الدين برقوق: المرة الأولى | ٧٨٤ ـ ٧٩٠هـ/ ١٣٨٢ ـ ١٣٨٨م |
| الصالح حاجي بن شعبان | ٧٩٠ ـ ٧٩٢هـ/ ١٣٨٨ ـ ١٣٩٠م |
| الظاهر سيف الدين برقوق: المرة الثانية | ٧٩٢ ـ ٨٠١هـ/ ١٣٩٠ ـ ١٣٩٩م |
| الناصر أبو السعادات فرج بن برقوق | ٨٠١ ـ ٨١٥هـ/ ١٣٩٩ ـ ١٤١٢م |
| الخليفة العباسي المستعين | ٨١٥هـ/ ١٤١٢م |
| المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي | ٨١٥ ـ ٨٢٤هـ/ ١٤١٢ ـ ١٤٢١م |
| المظفر أحمد بن شيخ | ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م |
| الظاهر سيف الدين ططر | ٨٢٤هـ/ ١٤٢١م |
| محمد بن ططر | ٨٢٤ ـ ٨٢٥هـ/ ١٤٢١ ـ ١٤٢٢م |
| الأشرف برسباي | ٨٢٥ ـ ٨٤١هـ/ ١٤٢٢ ـ ١٤٣٨م |
| أبو المحاسن يوسف بن برسباي | ٨٤١ ـ ٨٤٢هـ/ ١٤٣٨م |
| الظاهر جقمق | ٨٤٢ ـ ٨٥٧هـ/ ١٤٣٨ ـ ١٤٥٣م |
| المنصور عثمان بن جقمق | ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م |
| الأشرف إينال | ٨٥٧ ـ ٨٦٥هـ/ ١٤٥٣ ـ ١٤٦١م |
| المؤيد أحمد بن إينال | ٨٦٥هـ/ ١٤٦١م |
| الظاهر خشقدم | ٨٦٥ ـ ٨٧٢هـ/ ١٤٦١ ـ ١٤٦٧م |
| الظاهر يلباي المؤيدي | ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م |
| الظاهر تمربغا | ٨٧٢هـ/ ١٤٦٨م |
| الأشرف قايتباي | ٨٧٢ ـ ٩٠١هـ/ ١٤٦٨ ـ ١٤٩٦م |
| محمد بن قايتباي: المرة الأولى | ٩٠١ ـ ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦ ـ ١٤٩٧م |
| الأشرف قانصوه خمسمائة | ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م |
| محمد بن قايتباي: المرة الثانية | ٩٠٢ ـ ٩٠٤هـ/ ١٤٩٧ ـ ١٤٩٨م |
| الظاهر قانصوه الأشرفي | ٩٠٤ ـ ٩٠٥هـ/ ١٤٩٨ ـ ١٥٠٠م |
| الأشرف جانبلاط | ٩٠٥ ـ ٩٠٦هـ/ ١٥٠٠ ـ ١٥٠١م |
| العادل طومان باي الأول | ٩٠٦هـ/ ١٥٠١م |
| الأشرف قانصوه الغوري | ٩٠٦ ـ ٩٢٢هـ/ ١٥٠١ ـ ١٥١٦م |
| الأشرف طومان باي الثاني | ٩٢٢ ـ ٩٢٣هـ/ ١٥١٦ ـ ١٥١٧م |



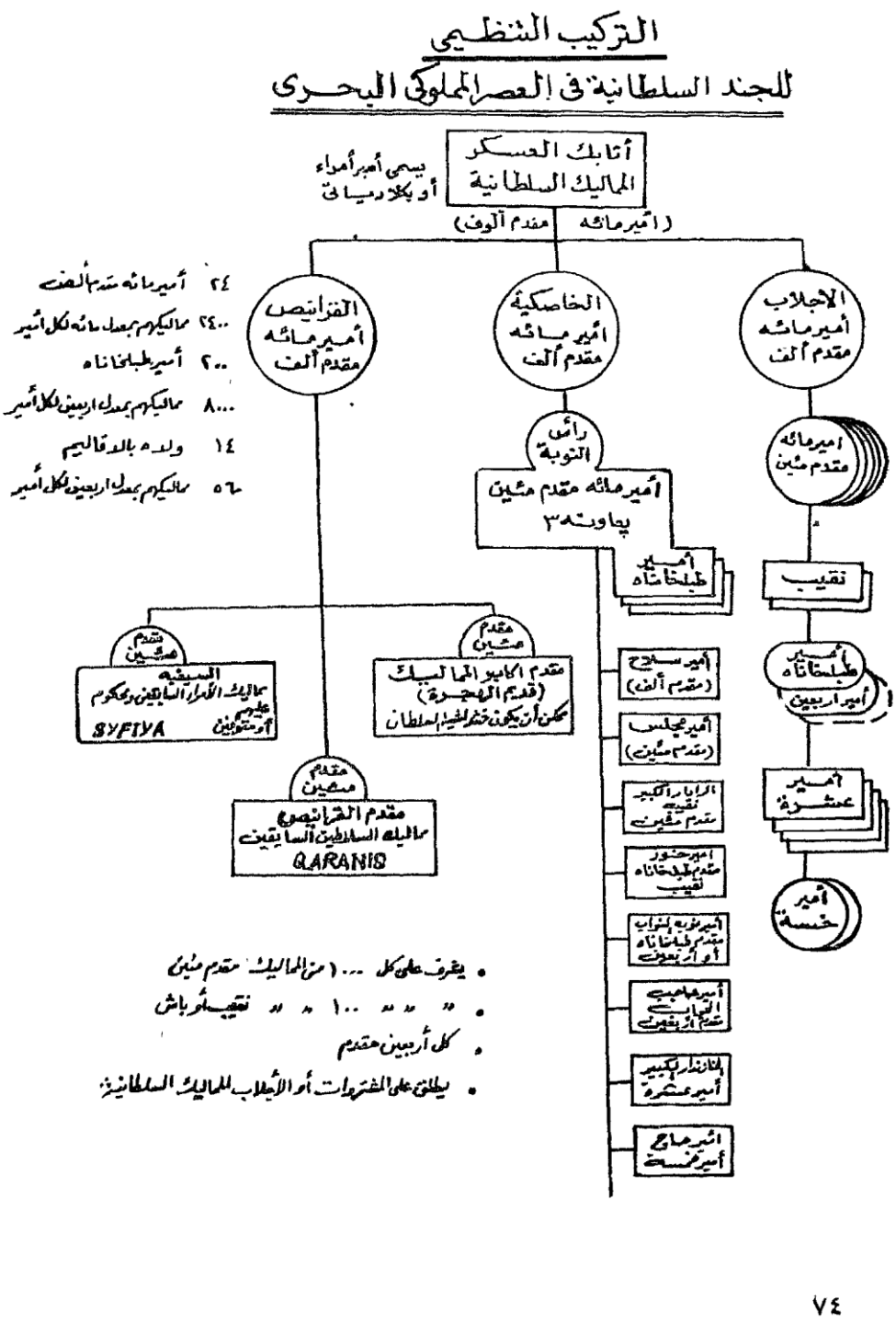
[1] طقوش، المرجع سابق، ص 576 . 576.

ملحق رقم (2): خارطة للدولة المملوكية عند قيامها سنة 648 . 655هـ/1250 . 1257م[1]:



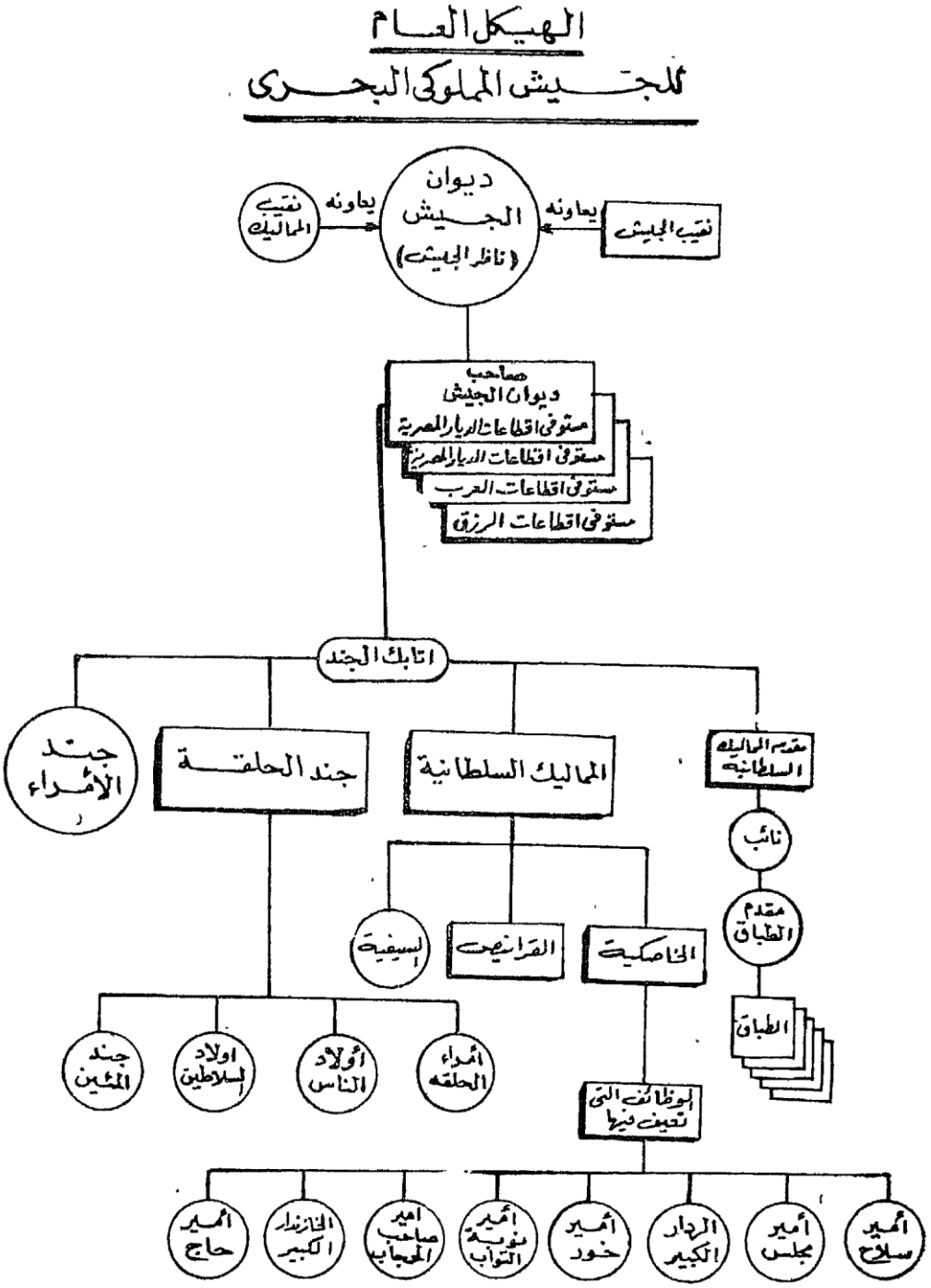

[1] المغلوث، أطلس تاريخ العصر المملوكي، ص 24.

ملحق رقم (3): التركيب التنظيمي للجند السلطانية في العصر المملوكي البحري[1]:




[1] محمود نديم أحمد فهيم، الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري، ص 74.

ملحق رقم (4): الهيكل العام للجيش المملوكي البحري[1]:

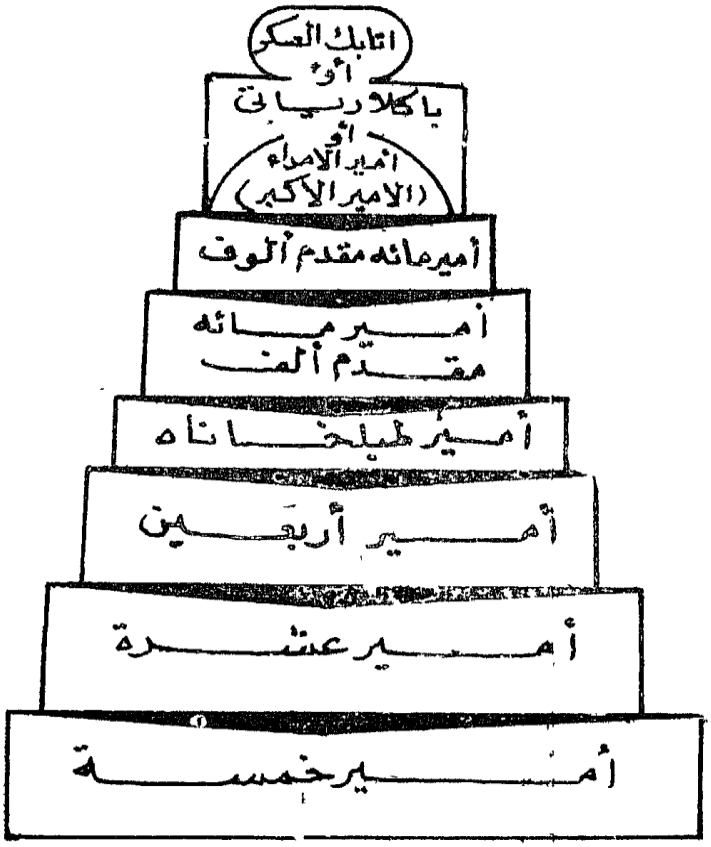



٧٠

[1] فهيم، المرجع السابق، ص 70.

ملحق رقم (5): التركيب الهرمي لأقدمية الرتب في الجيش المملوكي البحري[1]:

## التركيب الهرمى لاقدميه الرتب
## فى الجيش المصرى فى العصر المملوكى البحرى






[1] فهيم، المرجع السابق، ص 77.

ملحق رقم: (6) أنموذج لأحد الترتيبات المعتمدة في تنظيم الجيش المملوكي البحري[1]:

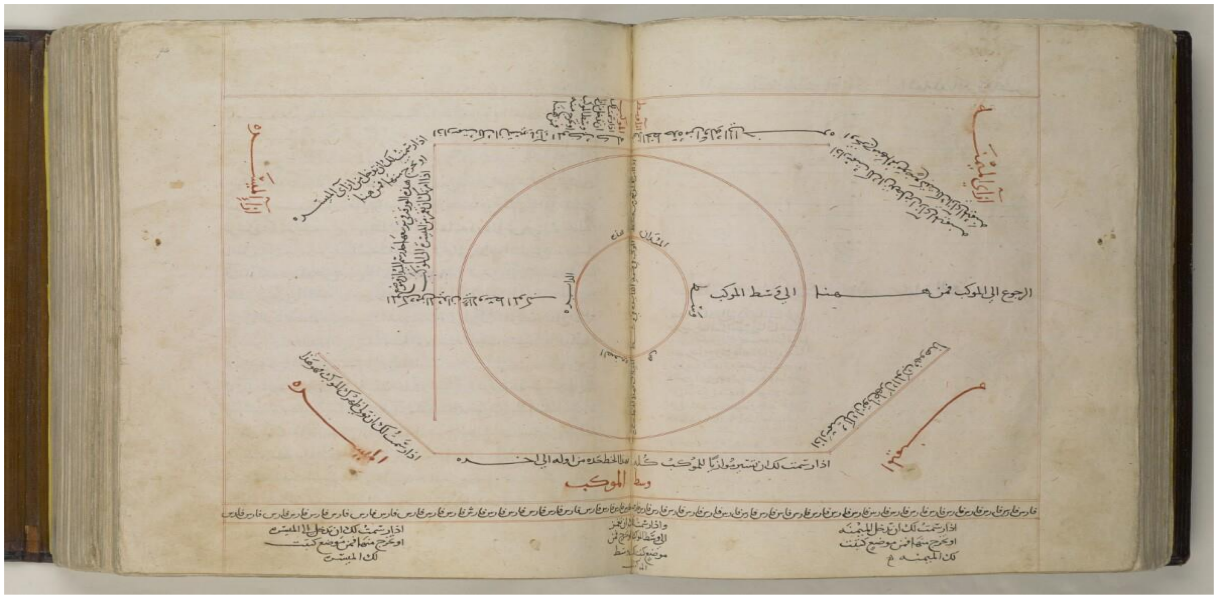
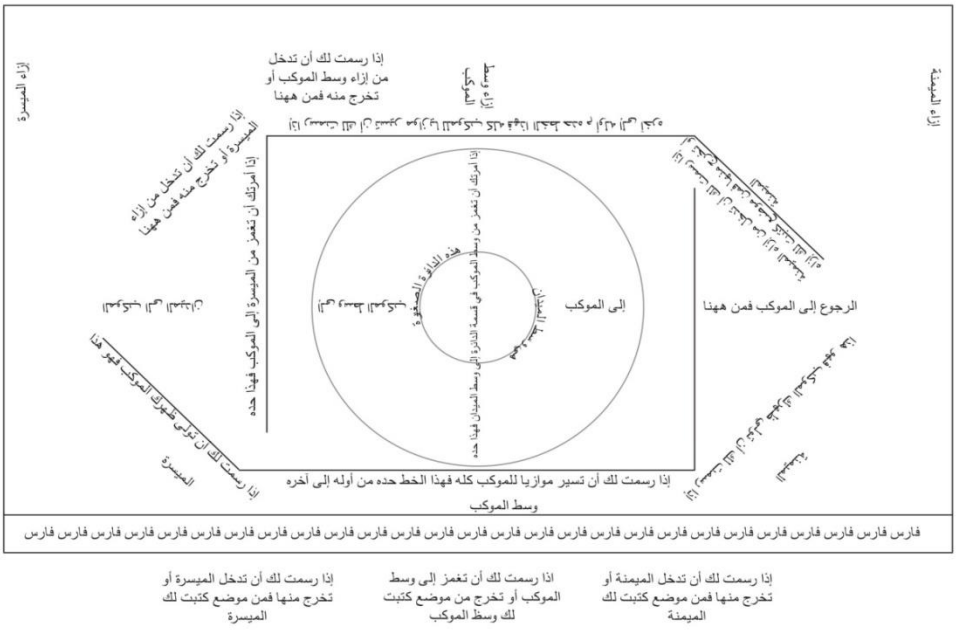


Figure 1.




44

[1] محمد بن عيسى بن إسماعيل الأقسرائي، نهاية السؤل و الأمنية في تعلم أعمال الفروسية،الناسخ: أحمد بن عمر أحمد الميسري، قسم المخطوطات الشرقية، المكتبة البريطانية، رقم Add MS 18866 ، ص198.وتم اقتباس المخطط التوضيحي الموجود في أسفل الشكل الأول من Kjersti Enger Jensen, The Mamluk Laner :A philological Study of: *Nihāyat al-su'l wa-'l-'ummīya fī ta'ḥīm 'a'māl al-furūsīya*, Master Thesise in Arabic studies, University of OSLO, November 2013, p 44.

ملحق رقم (7):رسالة هولاكو إلى سيف الدين قطز[1]:

« من ملك الملوك شرقا وغربا ، القان الأعظم، باسمك اللهم باسط الأرض ورافع السماء ، نُعْلِم أمير مصر قطز ، الذى هو من جنس المماليك ، الذين هربوا من سيوفنا إلى هذه الأرض ، بعد أنْ ابتاعوا إلى التجّار بأبخس الأثمان » .

« أما بعد : فإنا نعبد الله ، فى أرضه ، خلقنا من سخطه ، يسّلطنا على من يشاء من خلقه ، فسلّموا إلينا الأمر ، تسلموا ، قبل أنْ ينكشف الغطاء فتندموا ؛ وقد سمعتم أننا أخربنا البلاد ، وقتلنا العباد ، فلكم منا الهرب ، ولنا خلفكم الطلب ، فما لكم من سيوفنا خلاص ، وأنتم معنا فى الأقفاص ، خيولنا سوابق ، وسيوفنا صواعق ، فقلوبنا كالجبال ، وعددُنا كالرمال ، فمن طلب حربنا ندم ، ومن تأخّر عنا سلم » .

« فإنْ أنتم لشرطنا أطعتم ، وما قلناه سمعتم، فلكم ما لنا ، وعليكم ( ١٥٥ ب ) ما علينا ، وإنْ أنتم خالفتمونا ، هلكتم ، فلا تهلكوا أنفسكم بأيديكم ، فقد حذّر



من أنذر ، وقد ثبت عندكم أننا كفرة ، وثبت عندنا أنكم فجرة ، والله يلقى الكفرة على الفجرة » .

« فأسرعوا إلينا بالجواب ، قبل أنْ تضرم الحرب نارها ، وترميكم بشرارها ، فلا يبقى لكم جاه ولا عزّ ، ولا يعصمكم منا حصن ولا حرز ، ونترك الأرض منكم خالية ، والمنازل خاوية ، فقد أيقظناكم ، إذ حذّرناكم ، فما بقى لنا مقصد سواكم » .

« وقد حذّرنا قبلكم أهل بغداد بمثل ذلك ، فما سمعوا ، فجرى عليهم ما سمعتم به ، وقتلنا خليفتهم الذى يزعمون أنه الخليفة ، وخربنا بلادهم ، ونهبنا عدادهم ، وهذا آخر كلامنا لكم ، والسلام علينا وعليكم ، وعلى من اتّبع الهدى ، وخشى عواقب الردى » .

وكتب له فى آخر هذه المطالعة ، هذين البيتين وهما :

أين المفرّ ولا مفرّ لهارب ولنا البسيطان الثرى والماء

ذلّت لهيبتنا الأسود وأصبحت فى يدنا الأمراء والخلفاء

---

[1] ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1، ق 1، 1مصدر سابق، ص ص 304 . 305.

ملحق رقم (8): ترتيب كرونولوجي لعمليات الفتح التي قام بها المماليك البحرية منذ عهد السلطان الظاهر بيبرس إلى عهد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون[1]:

**1)** فتح قيسارية وأرسوف 663هـ/1256م.

**2)** فتح صفد 664هـ/1266م.

**3)** فتح يافا وشقيف أرنون 666هـ/1268م.

**4)** فتح أنطاكية 666هـ/1268م.

**5)** فتح حصن الأكراد669هـ/1271م.

**6)** فتح عكار 669هـ/1271م.

**7)** فتح المرقب 684هـ/1285م.

**8)** فتح اللاذقية 686هـ/ 1287م.

**9)** فتح طرابلس 688هـ/1289م.

**10)** فتح عكا 690هـ/1291م.

**11)** فتح أرواد 702هـ/1302م.

**12)** فتح أرمينية الصغرى771هـ/ 1375م.تم في عهد السلطان الأشرف شعبان.

---

[1] للإطلاع على تفاصيل هذه الفتوحات ينظر أرتور إسرائيليان، فن الحرب في العصر المملوكي الأول، مرجع سابق، ص ص 209، 227.

**البيبيوغرافيا:**

## 1-مخطوط:

الأقسرائي، محمد بن عيسى بن إسماعيل، (ت حوالي 750هـ/حوالي 1349م)، **نهاية السؤل والأمنية في تعلم أعمال الفروسية**، الناسخ :أحمد بن عمر بن أحمد الميسري، قسم المخطوطات الشرقية بالمكتبة البريطانية، رقمAdd M S 18866، نسخة إلكترونية من الأرشيف الرقمي لمكتبة قطر الوطنية

## 2-المصادر

1- **القرآن الكريم** ، ط2 ، مؤسسة الرسالة للنشر و التوزيع بيروت/لبنان، 2002.

2- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل الملك المؤيد، (ت 733هـ/1332م)، **المختصر في أخبار البشر**، د تح، ط1، ج2،3، المطبعة الحسينية، مصر، د . ت.

3- الحموي، ياقوت بن عبد الله الرومي، (ت 626هـ/1229م)، **معجم البلدان**، د تح، ط2، ج2،3، دار صادر، بيروت/ لبنان، 1995م.

4- الدمشقي، إسماعيل بن عمر بن كثير، (ت 774هـ/ 1373م)، **البداية والنهاية**، تحقيق: علي شيري، ط1، ، ج 2،ج13، دار إحياء التراث العربي، بيروت/لبنان،1988.

5- الدوادار، ركن الدين بيبرس المنصوري، (ت 725هـ/1325م)، **زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة**، تحقيق: دونالدز ريتشاردز، ط1، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت/لبنان، 1998.

6- ـــــــ، **التحفة الملوكية في الدولة التركية: تاريخ دولة المماليك البحرية من 648هـ إلى 711هـ**، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة،/مصر 1987م.

7- ـــــــ ، مختار الأخبار: **تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة 706هـ**، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة/مصر، 1993م.

8- ـــــــ ، أبو بكر بن أيبك، (ت بعد 736هـ/ بعد 1432م)، **كنز الدرر وجامع الغرر**، تحقيق: أولرخ هارمان، د ـ ط، ج8، الناشر عيسى البابي الحلبي، بيروت/لبنان، 1971م.

9- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله، ( 748هـ/1347م)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: عبد السلام تدمري، ط2، ج15،17، دار الكتاب العربي، بيروت/لبنان، 1993م.

10- السيوطي، جلال الدين، (ت 911هـ/1505م)، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، ط1، ج2، دار إحياء الكتب العربية، مصر، 1967م.

11- الصفدي، الحسن بن أبي محمد، (ت بُعيد 717هـ/ بُعيد 1317م)، **نزهة المالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك**، تحقيق: عبد السلام تدمري، ط1، ج1، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت/لبنان، 2003م.

12- العمري، شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله، (ت 749هـ/1329م)، **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، د تح، ط1، ج23، 27، المجمع الثقافي أبو ظبي/الإمارات العربية المتحدة، 2002م.

13- ـــــــ ، **التعريف بالمصطلح الشريف**، تحقيق: محمد حسن شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، 1988م.

14- العيني، بدر الدين أبو محمد بن موسى، (ت855هـ/1451م)، **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، تحقيق: محمد محمد أمين، د ـ ط ، ج1، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة/مصر، 2010م.

15- القشيري، أبو الحسن مسلم بن الحجاج، (ت 261هـ/875م)، **صحيح مسلم**، تحقيق: فؤاد عبد الباقي، د ـ ط، ج4، دار إحياء التراث العربي، بيروت/ لبنان، د ـ ت.

16- القلقشندي، أحمد بن علي، (ت821 هـ /1418 م ) ،**صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، ج3،4، 5،7،10،11،13،14،1، د-ط ،دار الكتب ، بيروت/لبنان،د.ت.

17- ابن منظور، جمال الدين، (ت 711هـ/1311م)**لسان العرب**، دون تحقيق، ط3، ج13، دار صادر، بيروت/ لبنان، 1995م.

18- المسعودي، أبو الحسن بن علي، (ت346هـ/957م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، مراجعة: كمال حسن مرعي، ط1،ج4، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت/لبنان، 2005م.

19- المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد البشاري، (ت275هـ/985م)،**أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، د . تح، ط3، دار صادر، بيروت/لبنان، 1991م

20- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، (ت 845هـ/1441م)، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، د تح، ط1، ج2،1، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، 1997م.

21- ـــــــ ، **السلوك لمعرفة دول الملوك**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط1، ج2،1، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، 1997م.

22- ـــــــ ، **البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب**، تحقيق: فردناند واسطون فيلد، طُبع بجوتجن، ألمانيا، 1847م، نسخة إلكترونية للمكتبة الشاملة، مطبوعة عن دراسات في تاريخ العروبة في وادي النيل، إعداد: عبد المجيد عابدين.

23- الناصري، محمد بن منكلي، (ت بعد 778هـ/ بعد 1376م)، **الحيل في الحروب و فتح المدائن وحفظ الدروب**، تحقيق: محمد نبيل عبد العزيز أحمد، د . ط ، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 2000م.

24- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت 733هـ/ 1332م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: نجيب مصطفى فواز، و حكمت كشلي فواز، د . ط، ج 8، 29، 30، 31، 32، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، د . ت.

25- اليافعي، أبو محمد بن سليمان، (ت 768هـ/ 1366م)، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، وضع حواشيه: خليل منصور، ط1، ج4، دار الكتب العلمية بيروت/لبنان، 1997م.

26- اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر، (ت بعد 292هـ/ بعد 905م)، كتاب البلدان، د تح، ط1، دار الكتب العلمية بيروت/لبنان، 2002م.

27- اليونيني، قطب الدين أبو الفتح موسى بن محمد، (ت 726هـ/1326م)، **ذيل مرآة الزمان**، د. تح، ط2، ج1، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة/مصر، 1992م.

28- ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي، (ت908هـ/ 1502م)، **بدائع الزهور في وقائع الدهور**، تحقيق: محمد مصطفى، د. ط، ج1، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة/ مصر ، 1975م.

29- ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف، (ت874هـ/ 1472م)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، د تح، د. ط، ج3، 4، 6، 7،8، دار الكتب، مصر، د. ت.

30- ـــــــ ، **المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي**، تحقيق: محمد محمد أمين، تقديم: سعيد عبد الفتاح عاشور، د. ط، ج4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د. ت ، د. م.

31- ابن خلدون، عبد الرحمن، (ت 808هـ/1406م)، كتاب **العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر**، تقديم: عبادة كحيلة، د. ط ج1،5، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة/مصر 2007م.

32- ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي،(ت809هـ/ 1407م) **الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين**، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، مراجعة: أحمد السيد دراج، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1982م.

33- ابن شاهين، غرس الدين خليل الظاهري، (ت 837هـ/ 1468م)، **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**، تصحيح بولس راويس، المطبعة الجمهورية، باريس، 1829 أو 1893م.

34- ابن شداد، عز الدين محمد، (ت 684هـ/1285م)، تاريخ الملك الظاهر، تحقيق: أحمد حطيط، د . ط، دار النشر فرانز شتايز، ألمانيا، 1983م.

35- ابن طباطبا، محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي، (ت709هـ/1309م)، **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، تحقيق: عبد القادر محمد مايو، ط1، دار القلم العربي، بيروت/لبنان، 1997م.

36- ابن عبد السلام، أبو محمد عز الدين، (ت 660هـ/ 1264م)، **أحكام الجهاد وفضائله**، تحقيق: نزيه حماد، ط1، دار الوفاء للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، 1986م.

37- ابن عبد الظاهر،محيي الدين، (ت 692هـ/1292م)، **الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر**، تحقيق: عبد العزيز الخويطر، ط1، د . م، الرياض 1976م.

## 3-المراجع:

1- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط1، دار ابن حزم، بيروت/لبنان، 2003م.

2- الصاوي، محمد الصاوي، **قطز قاهر التتار**، ط1، مكتبة النافذة، مصر، 2012م.

3- العبادي، أحمد مختار، **في تاريخ الأيوبيين والمماليك**، د . ط، دار النهضة العربية بيروت/ لبنان، 1995م.

4- ـــــــ ، **قيام دولة المماليك الأولى في مصر وبلاد الشام**، د . ط، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2006م.

5- العريني، السيد الباز، **المماليك**، د . ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت/لبنان،د.ت

6- ـــــــ ، **الإقطاع الحربي في مصر زمن سلاطين المماليك**، د . ط، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، 1956 م.

7- العسلي، بسام، **قادة الحروب الصليبية المسلمون**، ط1، دار النفائس بيروت/لبنان، 2012م

8- حسن، علي إبراهيم، **دراسات في تاريخ المماليك البحرية**، د . ط، مكتبة النهضة المصرية، مصر، 1944م.

9- حطيط، أحمد، **حروب المغول**، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت/لبنان، 1994م.

10- سالم، السيد عبد العزيز، العبادي، أحمد مختار، **تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام**، د . ط، دار الأحد البحيري إخوان، بيروت/لبنان، 1972م.

11- سوادي، عبد محمد، **الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد الجزية الفراتية خلال القرن 6هـ/12م**، ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد/العراق، 1989م.

12- شبارو، عصام محمد، **السلاطين في المشرق العربي معالم دورهم السياسي والحضاري: السلاجقة – الأيوبيون(447 . 648هـ/1055 . 1250م)**، د . ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت/لبنان، 1994م.

13- ـــــــ ، **السلاطين في المشرق العربي معالم دورهم السياسي والحضاري: المماليك (648 . 923هـ/1250 . 1517م)**، د . ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت/لبنان، 1994م.

14- شلبي، محمود، **حياة الملك الظاهر بيبرس**، ط1، دار الجيل، بيروت/ لبنان، 1992م.

15- طرخان، إبراهيم علي، **النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى**، د . ط، دار الكتاب العربي، مصر، 1968م.

16- طقوش، محمد سهيل، **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام**، ط1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة/مصر، 1997م.

17- عاشور، سعيد عبد الفتاح، **العصر المماليكي في مصر والشام**، ط2، دا النهضة العربية، القاهرة/مصر، 1976م.

18- ـــــــ ، **الأيوبيون والمماليك في مصر والشام**، د . ط، دار النهضة العربية ، القاهرة/مصر، 1996م.

19- ـــــــ ، **أضواء جديدة على الحروب الصليبية**، د . ط، دار القلم، القاهرة/مصر، 1964م.

20- عاشور، فايد حماد، **العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى**، د . ط، دار المعارف، مصر، 1972م.

21- علي، جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام** ، ط4، ج10، دار الساقي، د . م،2001م.

22- فهيم، محمود نديم أحمد، **الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري**، د . ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1983م.

23- قاسم، عبده قاسم، علي السيد علي، **الأيوبيون والمماليك: التاريخ السياسي والعسكري**، د . ط، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة/مصر،د ت.

24- قاسم، عبده قاسم، **السلطان المظفر سيف الدين قطز بطل معركة عين جالوت**، ط1، دار القلم دمشق/سوريا، 1998م.

25- ماجد، عبد المنعم، **التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر**، د . ط، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة/مصر، 1998م.

26- ـــــــ ، **الدولة الأيوبية في تاريخ مصر الإسلامية**، د . ط، دار الفكر العربي، القاهرة/مصر، 1997م.

27- الزركلي، خير الدين، **الأعلام**، ط15، ج8، دار العلم للملايين، بيروت/لبنان، 2002.

## 4 -الأطروحات و الرسائل الجامعية:

1- إسرائيليان، أرتور، **فن الحرب في العصر المملوكي الأول بين النظرية والتطبيق (648 . 784هـ/1250 . 1382م)**، أطروحة دكتوراه في تاريخ العرب والإسلام، إشراف: اكتمال إسماعيل، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، 2007م.

2- الجزار، هاني فخري عطية، **النظام العسكري في دولة المماليك (648 . 923هـ/1250 . 1517م)**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف: رياض مصطفى شاهين، كلية الآداب الجامعة الإسلامية في غزة، 2007م.

3- الغامدي، عبد الله سعيد محمد، **جهاد المماليك البحرية ضد المغول والصليبيين**، أطروحة دكتوراه، إشراف: محمد حمدي المناوي، جامعة أم القرى، المدينة المنورة،1985م.

4- الهندي، صفاء سعيد، **تقنية الأسلحة الأيوبية والمملوكية وتطورها**، رسالة ماجستير في الآثار، إشراف: صفوان خلف التل، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية،2001م.

5- Kjersti Enger Jensen, The Mamluk Lancer, A philological study of: *Nihāyat al-suʾl wa-ʾl-ʾumnīya fī taʿlīm ʾaʿmāl al-furūsīya* Master's Thesise in Arabic Studies, University of Oslo,Novemebre 2013.

## 5-المجلات العلمية:

1- الخالد، أنور عودة، **دور نظام البريد في المعارك والفتوحات الحربية في العصر المملوكي البحري**، مجلة دراسات العلوم الإنسانية و الاجتماعية، مج43، دون عدد، قسم التاريخ كلية الآداب، جامعة آل البيت، الأردن، 2016م.

2- جاسم، محمد جاسم، **الجيش وتطوره في العصر المملوكي خلال الفترة 648 . 923هـ/1250 . 1517م**، مجلة جامعة تكريت ، مج 14، العدد6، العراق،2007م.

3- ـــــــ ، **جهود الأمراء المماليك في إحياء الخلافة العباسية**، مجلة جامعة تكريت ، مج 14، العدد6، العراق،2007م.

4- محمود، شفيق جاسر أحمد، **المماليك البحرية وقضاؤهم على الصليبيين في الشام**، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد 81 . 82 ، المدينة المنورة، جمادى الثانية 1409هـ/1989م.

5- موجاني، وان كمال، خلف ، عبد الله أحمد، **دور الإقطاع في عصر المماليك البحرية دراسة تاريخية نموذج مصر 648. 698هـ/1250 . 1300م**، مجلة الدراسات الإسلامية والفكر والبحوث التخصصية، مج1، العدد الأول ، الجامعة الوطنية الماليزية، ماليزيا، أفريل 2015م.

## 6- الموسوعات و الأطالس:

1- الزيدي، مفيد، **موسوعة التاريخ الإسلامي:العصر المملوكي**، د . ط، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان/الأردن، 2009م.

2- العمايرة، محمد عبد الله سالم، **المعجم العسكري المملوكي**، ط1، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، القاهرة/مصر، 1997م.

3- المغلوث، سامي بن عبد الله بن أحمد، **أطلس تاريخ العصر المملوكي**، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض/المملكة العربية السعودية، 2013م.

4- دهمان، محمد أحمد، **معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي**،ط1، دار الفكر، دمشق/سوريا،1990م.

| فهرس المحتويات | الصفحة |
|---|---|
| **كلمة الشكر**..... | 2 |
| **الإهداء**..... | 3 |
| **مقدمة** ..... | 4 |
| **المبحث الأول: قيام دولة المماليك الأولى**..... | 11 |
| **1 . أصل المماليك**..... | 12 |
| **2 . العوامل المساعدة على وصول المماليك إلى السلطة في مصر**..... | 16 |

| | |
|---|---|
| أ . احتدام الصراع بين أمراء البيت الأيوبي على السلطة..... | 16 |
| ب . الاجتياح المغولي لوسط آسيا..... | 19 |
| ج . الحروب الصليبية ( الحرب الصليبية السابعة)..... | 20 |
| **3 . جهود المماليك في تثبيت دعائم سلطتهم**..... | 29 |
| 1. على المستوى الداخلي..... | 31 |
| أ . سعي المماليك إلى إضفاء طابع الشرعية على نظام حكمهم..... | 31 |
| ب . مواجهة الثورات الداخلية..... | 32 |
| ج . التخلص من المطالبين بالعرش من الأيوبيين ببلاد الشام..... | 36 |
| 2 . على المستوى الخارجي..... | 40 |
| أ . مواجهة خطر المغول والحد من توغلهم في قلب المنطقة العربية..... | 40 |
| ب . إعادة إحياء الخلافة العباسية في مصر..... | 41 |
| **المبحث الثاني: المؤسسة العسكرية المملوكية**..... | 48 |
| **1 . التنشئة العسكرية للمماليك**..... | 49 |
| **2 . فرق الجيش المملوكي**..... | 54 |
| أ . المماليك السلطانية ..... | 55 |
| الطائفة الأولى: المماليك الخاصكية..... | 55 |
| الطائفة الثانية: المماليك القرانصة..... | 56 |
| الطائفة الثالثة: المماليك السيفية..... | 56 |
| ب . أجناد الحلقة..... | 57 |
| ج . أجناد الأمراء..... | 58 |
| **3 . الجانب الإداري للجيش المملوكي البحري**..... | 59 |
| **أ** . الإقطاع والرواتب..... | 59 |
| أ. **1** . الإقطاع..... | 59 |
| ب. **1**. الرواتب..... | 64 |
| **ب** . الدواوين العسكرية والبيوت (الخانات)..... | 66 |

| | |
|---|---|
| ب. **1** . الدواوين..... | 66 |
| أ . ديوان الجيش..... | 66 |
| ب . ديوان النظر..... | 67 |
| ج. ديوان الجهاد..... | 67 |
| ب. **2** الخانات أو البيوت..... | 68 |
| أ. السلاح خاناه..... | 68 |
| ب. الركاب خاناه..... | 70 |
| ج. الطبلخاناه..... | 71 |
| د. الإسطبلات..... | 71 |
| هـ. مراكز الحمام..... | 71 |
| ج . الرتب (الوظائف) العسكرية..... | 72 |
| ج. **1**/ نائب السلطان..... | 73 |
| ج. **2**/ أتابك العسكر..... | 74 |
| ج. **3**/ ناظر الجيش..... | 74 |
| ج. **4**/ نقيب المماليك..... | 76 |
| ج. **5**/ الإمرة ووظائفها..... | 76 |
| ج. **6**/ أمير خمسة..... | 77 |
| ج. **7**/ أمير عشرة..... | 77 |
| ج. **8**/ أمير الطبلخاناه..... | 77 |
| ج. **9**/ أمير السلاح..... | 78 |
| ج. **10**/ أمير مجلس..... | 78 |
| ج. **11**/ أمير مئة مقدم ألف..... | 78 |
| ج. **12**/ الدوادار الكبير..... | 79 |
| ج. **13**/ أمير آخور..... | 79 |
| ج. **14**/ رأس النوبة..... | 80 |

| | |
|---|---|
| ج.15/ صاحب الحجاب..... | 80 |
| ج.16/ أمير خازندار..... | 81 |
| ج.17/ مقدم المماليك..... | 81 |
| ج.18/ قاضي العسكر..... | 81 |
| **المبحث الثالث: إدارة المماليك البحرية للحروب مع المغول والصليبيين** | 83 |
| **1 . الإستراتيجية العسكرية عند دولة المماليك البحرية**..... | 84 |
| أ . الأساليب التخطيطية للقتال الإستراتيجي ..... | 84 |
| أ.1/ عقد مجلس الحرب..... | 84 |
| أ.2/ التجهيزات القتالية..... | 84 |
| 1.2 الفرق الهندسية..... | 85 |
| 2.2 فرق الموسيقى العسكرية..... | 86 |
| 3.2 حملة الأعلام والرايات..... | 87 |
| 4.2 الفرق الاستطلاعية والاستكشافية..... | 88 |
| 5.2 الفرق الطبية..... | 89 |
| 6.2 الفرق المتطوعة في الجيش..... | 89 |
| 7.2 بث الحماس في الجند للثبات في الجهاد..... | 90 |
| ب . الأساليب الإستراتيجية للقتال وإدارة المعارك مع المغول والصليبيين..... | 91 |
| 1/ تنظيم الجيش..... | 91 |
| 2/ دراسة العدو للوصول إلى الأسلوب المناسب لتدميره بأقل الخسائر الممكنة..... | 95 |
| 3/ اختيار وقت ومكان المعركة المناسبين..... | 95 |
| 4/ المبادأة واستخدام القوة الهجومية..... | 96 |
| 5/ التظاهر بالارتداد والتراجع..... | 96 |
| 6/ إستراتيجية الحرب التشتيتية..... | 97 |
| 7/إستراتيجية الهجمات الوقائية..... | 98 |
| **2 . بعض المعارك التي خاضها الجيش المملوكي البحري ضد المغول والصليبيين**.... | 98 |

| | |
|---|---|
| أ . حروب المماليك البحرية ضد المغول..... | 98 |
| أ. **1** . معركة عين جالوت 658هـ/ 1260م ..... | 98 |
| أ. **2** . معركة حمص 680هـ/ 1281م..... | 102 |
| أ. **3** . معركة مجمع المروج 699هـ/ 1299م..... | 104 |
| ب . حروب المماليك ضد الصليبيين..... | 106 |
| أنموذج فتح عكا 690هـ /1291م..... | 107 |
| **3 . الأسطول البحري ودوره في حروب المماليك ضد المغول والصليبيين**..... | 110 |
| **الخاتمة**..... | 116 |
| **الملاحق**..... | 121 |
| **البيبليوغرافيا**..... | 131 |
| **فهرس المحتويات**..... | 141 |